

الإمام الشواعر

ابو الفرج الأصبهاني

عنان جارية الناطفي

اسمها: عنان بنت عبد الله عنان بكسر العين.

توفيت سنة 226 نقلا من الأصفهاني، وجعلها ابن شاعر الكتي في وفيات 230، ذكر ابن النديم أن ديوانها يقع في عشرين ورقة.

الناطق أو النطاف: بائع الناطف، وهو نوع من الحلوى اسمه القبيط أيضاً، ولا يزال معروفاً في ماردين وما حولها ضمن الحدود التركية اليوم، وهذه الحلوى إذا باتت فقدت لذتها ونفاستها! قاله الدكتور مصطفى جواد.

لم أعر على الاسم الكامل للنطافي، ويبدو أنه كان يكنى أبا حفص ديوان أبي نواس، وأورد عبد الله بن عبد العزيز البغدادي في كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها الأبيات التي رثت بها مولاها أنظر الرقم في كتابنا مشيراً إلى أنها قالتها في: القاسم بن عبد الملك، ولم أعر على ترجمة له، فهل كان هذا اسم النطافي؟! ترجمة عنان وأخبارها في: الأغاني، طبقات ابن المعتز المختصر، الورقة، الفهرست: كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم للبغدادي: ديوان أبي نواس: أخبار أبي نواس لابي هفان: الأربعة في أخبار الشعراء لابي هفان جمع وتحقيق هلال ناجي: الفقرة، ديوان العباس بن الاحنف: الإماء من شواعر النساء مجلة البلاغ: المحاسن والاضداد: نساء الخلفاء: بدائع البدائة تنظر الفهارس، نهاية الأرب، أخبار أبي نواس لابن منظور: البصائر والذخائر، عيون التواريخ مخطوطة حوادث، المستظرف للسيوطي: أعلام النساء: زهر الأداب: تلقيح العقول لبرية الرياضي مخطوطة: سمط اللاليء: تاريخ التراث العربي لسركين بالألمانية قسم الشعر: كانت عنان: صفراء، مولدة، من مولدات اليمامة، وبها نشأت وأربت ثم إشتراها النطافي وهم الرشيد بابتاعها منه، فمنعه من ذلك إشتهارها، وما هجاها به الشعراء، وأخبارها في ذلك: تذكر بعد هذا.

وكانت أول من إشتهر بقول الشعر في الدولة العباسية، وأفضل من عرف من طبقتها، ولم يزل فحول الشعراء في عصرها، يلقونها في منزل مولاها فيقارضونها الشعر، وتنتصف منهم، وعتقت بعد وفاة مولاها إما بعق كان منه لها أو بأها ولدت منه.

فحدثني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال حدثنا عمر بن شبة، قال حدثني أحمد بن معاوية، قال: سمعت أبا حنن يقول: قال لي النطافي يوماً: لو جئت إلى عنان فطارحتها، فعزمت على الغدو إليها، وبت ليلتي أحول ببيتين، ثم غدوت عليها، فقلت: أجزبي هذين البيتين! وأنشد يقول:

أحب الملاح البيض قلبي وإنما
أحب الملاح الصفر من ولد الحبش
بكيت على صفراء منهن مرة
بكاء أصاب العين مني بالعمش

فقال:

بكيت عليها؟ إن قلبي أحبها
وإن فؤادي كالجناحين ذو ريش
تعنتنا بالشعر لما أتيتنا
فدونك خذه محكماً يا أبا حنش

أخبرني عمر بن عبد العزيز، قال حدثنا عمر بن شبة، قال حدثني: أحمد بن معاوية قال سمعت مروان بن أبي حفصة يقول: لقيني الناطفي، فدعاني إلى عنان، فانطلقت معه، فدخل إليها قبلي، فقال لها: قد جئتكم بأشعر الناس: مروان بن أبي حفصة! وكانت عليلة، فقالت: إني عن مروان لفي شغل!، فأهوى لها بسوطه، فضربها به، وقال لي: أدخل! فدخلت وهي تبكي، فرأيت الدموع تتحدر من عينيها، فقلت:

بكت عنان فجرى دمعها
كالدر إذ يسبق من خيطه

فقال مسرعة:

فليت من يضربها ظالماً
تبيس يمانه على سوطه

فقلت للناطفي: أعتق مروان ما يملك إن كان في الجن والأنس أشعر منها! أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال حدثنا عمر بن شبة عن أحمد بن معاوية، قال: قال لي رجل، تصفحت كتباً فوجدت فيها بيتاً جهدت جهدي أن أجد من يجيزه، فلم أجده، فقال لي، صديق لي: عليك بعنان جارية الناطفي، فأتيتها فأنشدتها:

وما زال يشكو الحب حتى حسبته
تنفس من أحشائه أو تكلمنا

فلم تلبث أن قالت:

ويبكي فابكي رحمة لبيكائه
إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما

إلى أن رثى لي من كان موجعاً
وأعرض خلو القلب عني تبرما

أخبرني عمي الحسن بن محمد، قال حدثنا الحسن بن عليل العتري، قال حدثني: أحمد بن القاسم العجلي قال حدثني أبو جعفر النخعي قال:

كان العباس بن الأحنف يميل إلى عنان جارية الناطفي، فجاءني يوماً، فقال لي: إمض بنا إلى عنان، فصرنا إليها، فرأيتها كالمهاجرة له، فجلسنا قليلاً، ثم ابتداءً عباس فقال:

قال عباس وقد أج
هد من وجد شديد:

ليس لي صبر على الهج
ر ولا لذع الصدود

لا ولا يصبر للهج

ر فؤاد من حديد

فقلت:

من تراه كان أغنى

منك عن هذا الصدود

بعد وصل لك مني

فيه إرغام الحسود!

فأخذ للهجر إن شئت فؤاداً من حديد

ما رأيناك على ما

كنت تجني بجأيد

فقال العباس:

أو تجودين لصب

راح ذا هم شديد

وأخي جهل بما قد

كان يجني بالصدود

ليس من أحدث هجراً

لصديق بسديد

ليس منه الموت إن لم

تصليه ببعيد

فقلت للعباس: وعلى م هذا الأمر؟! قال: أنا جنيت على نفسي بتناهيي عليها، فلم أبرح حتى ترضيتها له. أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال حدثني عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني مسعود بن عيسى، قال أخبرني موسى بن عبد الله التميمي قال: دخل أبو نواس على الناطقي وعنان جالسة تبكي وخذها على رزة في مصراع الباب، وقد كان الناطقي ضربها، فأوماً إلى أبي نواس: أن جرهما بشيء، فقال أبو نواس:

عنان لو جدت لي فإني من

عمري في أمن الرسول بما

أي في آخر عمري، لأن أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، آخر آية في البقرة.

فردت عليه:

فإن تمادى ولا تماديت في

قطعك حبلي أكن كمن ختما

فرد عليها:

علقت من لو أتى على أنف

س الماضين والغابرين ما ندما

فردت عليه:

أو نظرت عينه إلى حجر

ولد فيه فتورها سقما

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال حدثني: محمد بن القاسم بن مهرويه، قال حدثني: محمد بن أبي مروان الكاتب، قال: لما أخذ أبو نواس من عنان جارية الناطقي خاتماً فصه ياقوت أحمر، أخذه أحمد بن

خالد حيلويه منه فطلبته منه عنان، فبعث إليها مكانه خاتماً فصح أخضر، وإتمته في ذلك، وكتب إلى أحمد بن خالد:

فدتك نفسي يا أبا جعفر
تعلقتي وتعلقتها
كنت وكانت نتهادى الهوى
حنت إلى الخاتم منى وقد
فأرسلت فيه فغالطتها
قالت لقد كان لنا خاتم
لكنه علق غيري فقد
كفرت بالله وآياته
أو يظهر المخرج من تهمتي
فأرده تردد وصلها إنها
فإنني متهم عندها

فرد الخاتم ووجهه إليه بألفي درهم.

وقرأت في كتاب لجعفر بن قدامة: بلغني أن عنان جارية الناطفي، دخل عليها بعض الشعراء، فقال لها الناطفي: عاييه! فقالت:

سقياً لقا طول لا أرى بلداً
يسكنه الساكنون يشبهها

فقال:

كأنها فضة مموهة
أخلص تمويهها مموهها

فقالت:

أمن وخفض وما كبهجتها
أرغد أرض عيشاً وأرفهها

فانقطع الرجل.

حدثني عمي: الحسن بن محمد والحسن بن علي، قالوا: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال حدثني: محمد بن هارون عن يعقوب بن إبراهيم قال: كان أبو نواس بعد أن هجرته عنان وهجته، يذكرها في شعره، ويشبب بها، فقال في قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد:

أنت على الحب تلومينا

قد ترك الناس مجانينا!

عنان يا من تشبه العينا

حبك حب لا أرى مثله

فقال له يزيد بن مزيد هذه جارية، قد عرض فيها الخليفة، وعلقت بقلبه فأله عنها، ولا تعرض نفسك له، فقال: صدقت أيها الأمير، ونصحتني، وقطع ذكرها!

أخبرني جعفر بن قدامة، قال حدثني أبو العيلاء، عن العباس ابن رستم قال: دخلت أنا وأبان اللاحقي على جارية الناطفي في يوم صائف، وهي جالسة في الخيش فقال لها أبان.

لذة عيش الصيف في الخيش فقالت: لا في لقاء الجيش بالجيش.

فقلت لها معرضاً لها: ما أحسن ما قال جرير:

وقد علقتني من هواك علوق

ظللت أراعي صاحبي تجلداً

فقالت غير متوقفة:

بأسراره عين عليه نطوق

إذا عقل الخوف اللسان تكلمت

ثم عرضت على الرشيد، فدخلت عليه تتبختر، فقال لها: أتخين أن أشتريك؟ قالت: ولم لا أحب ذلك يا أحسن الناس خلقاً وخلقاً؟ فقال لها: أما الخلق فظاهر فما علمك بالخلق؟ قالت: رأيت شرارة، قد طاحت على ثوبك من الجمر، لما جاء الخادم بالبخور إليك فسقطت على ثوبك فأحرقته، فوالله ما قطبت لها وجهاً، ولا راجعت من جناها حرفاً! فقال لها: والله لولا أن العيون قد ابتذلتك إبتذالاً، مشتركاً كبيراً، لا شتريتك ولكنه لا يصح للخليفة، من هذه سبيله! وردها إلى مولاها، فاشتراها طاهر بن الحسين بعد ذلك، وجعلها على خزانة طيبه، فقالت: عرضتني للغيرة! فاعفني من ذلك، وأجعل إلي كسوتك، ففعل.

وحدثني محمد بن القاسم الأنباري، قال حدثني أبي قال: قال أبو الحسن بن الاعرابي: إجتمع أبو نواس وداود بن رزين الواسطي وحسين بن الضحاك وفضل الرقاشي وعمرو الوراق وحسين بن الخياط في منزل عنان جارية الناطفي، فتحدثوا وتناشدوا أشعار الماضين وأشعارهم في أنفسهم، حتى انتصف النهار، فقال بعضهم: عند من نحن اليوم؟ فقال كل واحد: عندي! قالت عنان: قولوا في هذا المعنى أبياتاً وتضمنوا إجازة حكمي عليكم، بعد ذلك.

فبدأ داود بن رزين الواسطي فقال:

وظل بيت كنين

قوموا إلى قصف لهو

فيه من الورد والمرم زجوش والياسمين

وريح مسك ذكي

وقينة ذات غنج

تشدو بكل ظريف

فقال أبو نواس:

لا بل إلى ثقاتي

قوموا نلذ جميعاً

فإن أردتم فتاة

وإن أردتم غلاماً

فبادروه مجوناً

وقال حسين بن الضحاك الخليع:

أنا الخليع فقوموا

إلى شراب لذيد

وذي دلال رخيم

في روضة جادها

قوموا تنالوا جميعاً

وقال الرقاشي:

لله در عقار

عذراء ذات احمرار

قوموا نداماي روبا

وناطحوني باقدا

فإن نكلت فحل

وقال عمرو الوراق:

قوموا إلى بيت عمرو

وبيشكار علينا

بجيد الزرجون

وذات دل رصين

من صنعة ابن رزين

قوموا بنا يا حياتي

بقول هاك وهات

أتحنفتم بفتاة

أتينكم بمؤاتي

في وقت كل صلاة

إلى شراب الخليع

من بعد جدى رضيع

بالخندريس صريع

صوب غاديات الربيع

منال ملك رفيع

حلت ببيت الرقاشي

أتى بها لا أحاشي

مشاشكم ومشاشي

حكم نطاح الكباش

لكم دمي ورياشي

إلى سماع وخمر

يطاع في كل أمر

يزهى بطرف ونحر
تم أتينا ببحر

وشادن ذي دلال
فذاك بر وإن شئ

وقال حسين الخياط:

بأن تزوروا حسينا
بالقصف واللهو عينا

قضت عنان عليكم
وأن تقروا لديه

فما رأينا كظرف الحمين فيما رأينا

زيناً وباعد شينا
ما قد قضيت علينا

قد قرب الله منه
قوموا وقولوا أجزنا

وقالت عنان:

عنان أحرى وأولى
أشهى الطعام وأحلى
من الشراب وحلا
من البرية كلا
أجاز حكمي أم لا؟

مهلاً فديتك مهلاً
بأن تتالوا لديها
فإن عندي حراماً
لا تطمعوا في سوى ذا
كم أصدقوا: بحياتي

فقالوا جميعاً: قد جاز حكمك، فاحتبستهم ثلاثاً، يقصفون عندها.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال حدثني عمي: عبید الله، عن أخيه أحمد، قال: لما غاب أبو نواس إلى مصر، تشوقه الناس وذكره، وإتصل تفاوضهم ذكره حتى بلغ وصفه عناناً، فتشوقته، ثم قدم بعد ذلك من مصر، فلما كان بعد قدومه بأيام جاء إلى النطاقي، فقال له أبو نواس، فاستأذن لي على عنان! فقال له: أما والله، لقد أهديت إليها من زيارتك هدية، كانت إليها مشتاقاً، ودخل، فأعلمها وأذن له، فدخل عليها، فقامت فتلقته إلى باب الدار، فسلمت عليه، ووصفت له شوقها إليه، واحتبسته عندها يومه وليلته، وإتصل إجتماعهما، فوجهت إليه يوماً، وصيفة لها، تدعوه إلى الصبح معها، وكتبت إليه تقول:

ولا تغيب عننا

زرنا لتأكل معنا

رب صبحة وإجتماعنا

فقد عزمنا على الش

فجاءته الوصيفة بالرقعة، فقرأها، واحتال على الوصيفة حتى طاعته على ما أراده، وقال في ذلك:

والرأى فيما فعلنا!

قبل الشواء أكلنا

كالغصن لما تنثنى

الفعال كنا إتفقنا

طولت: نكنا ودعنا!

نكنا رسول عنان

فكان خبزاً بملح

جاذبتها فتحانت

فقلت ليس على ذا

قالت فكم تتجنى

فبلغ عناناً ذلك، فكان سبب التباعد بينهما، والمهاجاة، مرت.

وذكر أبو هفان عن الجمار، أن سبب المهاجاة بينهما، أنه كتب إليها وهو سكران:

لونه يحكي الكميتا

لنزا حتى يموتا

صار للغلظة حوتا

لتحول عنكبوتا

وأظن الإلف قوتا

غلمة من أن يموتا

ء فلا يأتى فيوتى

إن لي أيراً خبيثاً

لو رأى في الجو صدعاً

أو يراه وسط بحر

أو يراه جوف صدع

فغضبت من ذلك، وكتبت إليه:

زوجوا هذا باللف

إنني أخشى عليه

قبل أن ينتكس الدا

وقال لها يوماً:

يرضيه منك قطيره؟

عليك فاجلد عميره!

على يدى منك غيره

فإنها كندبيره

ما تأمرين لصب

فأجابته:

إياى تعنى بهذا؟

فأجابها:

أريد ذلك وأخشى

فخجلت وقالت: عليك وعلى من يغار عليك..

فقالت عنان:

عليك أمك نكها

وقال فيها أبو نواس:

إن عنان النطاف جارية

قد صار حرها للننيك ميدانا

ما يشتريها إلا ابن زانية

وقلطبان يكون من كانا!

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني - صهر المبرد - قال حدثني أبو هفان - عن سليمان أخي لحظة أنها حجه وهجرته، فلم تأذن له، فبعث إليها رسولا يعتذر، فقالت له: قل له دعنا منك، يا محنت، يا حلقي! فرجع الرسول إليه فسأله عن الجواب، فأخبره به فقال أبو نواس:

وأتاني من إذا ذكرت له

خنثي ظالماً وحلقتني!

لو سألوه عن وجه حجته

وشتمه لقال يعشقتني

نعم إلى الحشر والحساب نعم!

أعشقه أو ألف في كفتي!

أهجر هجراً لا أستسر به

عنفتني فيه من يعنفني:

يأيها الناس مني إستمعوا

إن عناناً صديقة الحسن!

أخبرني عمي الحسن بن محمد، قال أنشدني أحمد بن أبي طاهر، لعنان تهجو أبا نواس:

أبو نواس بدائه كلف

يسخر من نفسه يخادعها

أمسى بروس الحملان شهر في الناس وإضماره أكارعها

وقالت فيه أيضاً:

يا نواس، يا نفاية خلق الله قد نلت بي سناء وفخرا

مت متى شئت، قد ذكرتك في الشعر، وجرر أذيال ثوبك كبرا

رب ذي خلة تلبس من لفظك سلحاً ومنك عرا وشرا

ونديم سقاك كأساً من الخمر فأفضلت في الزجاجة حبرا

وإذا ما كلمتني فاتق الله وعلق دوني على فيك سترا

وإذا ما أردت أن تحمد الله على ما أبلى وأولاك شكرا

فليكن ذاك بالضمير وبالإيماء لا تذكرن ربك جهرا

أنت تفسق إن نطقت ومن يسيح بالفسق نال إثماً ووزرا

إحمد الله ما عليك جناح

جعل حذف الله بين لحبيك ججرا

إن تأملته فبوم خراب

وإذا ما شممته كان صقرا!

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني إبراهيم بن سليمان بن وهب، قال: قال عمي الحسن بن وهب: دخلت يوماً إلى عنان جارية الناطفي، فسألني أن أقيم عندها ففعلت، وأتينا بالطعام والشراب، فأكلنا وشربنا، وغنتني فكان غناؤها دون شعرها، فشربت ستة أرطال ونكتها خمسة وضجرت فقالت لي: ما أنصفت: شربت ستة، ونكت خمسة؟ فتغافلت، وقلت: غني صوتي، في شعر سلم الخاسر:

خليلي ما للعاشقين قلوب
ولا لعيون الناظرين ذنوب
فيا معشر العشاق ما أبغض الهوى
إذا كان لا يلقى المحب حبيب!

فغنت:

خليلي ما للعاشقين أيور
ولا لحبيبي لا ينال سرور
فيا معشر العشاق ما أبغض الهوى
إذا كان في أير المحب فتور!

فانصرفت خجلاً!

حدثني جعفر بن قدامة، وجمحة قالوا: أنشدنا هبة الله بن إبراهيم بن المهدي، قال أنشدني أبي لعنان جارية النطاقي، وفيه لحن لعلية من خفيف الثقيل. حدثني بذلك بعض عجائزنا، قال: كنت أسمع هذا الصوت في درانا منسوباً إلى أبي، حتى غنته ريق يوماً، وأخبرتني أنها أخذته من لعلية بنت المهدي:

نفسى على حسراتها موقوفة
لو في يدي حساب أيامي إذاً
فوددت لو خرجت مع الحشرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما
خطرتهن تعجلاً لوفاتي
أبكي مخافة أن تطول حياتي!

أخبرني بذلك أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي، وأخبرني جعفر بن قدامة، قال حدثني أبو العيلاء عن الأصمعي، قال: بعثت إلى أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهج يذكر عنان جارية النطاقي، فإن أنت صرفته عنها فلك حكمك!.

قال: فكنت ألتمس أن أجد موضعاً للقول فيها فلا أجد، ولا أقدم عليه هيبه له. إذ دخلت يوماً فرأيت في وجهه أثر الغضب فانزلت فقال لي: ما لك يا أصمعي؟! قلت: رأيت على وجه أمير المؤمنين أثر الغضب، فعلى من أغضبه لعنة الله! فقال: هذا الناطفي، أما والله، لولا أنني لم أحر في حكم قط متعمداً لجعلت على كل جبل منه قطعة! وما لي في جاريته أرب غير الشعر فذكرت رسالة أم جعفر، فقلت: أجل والله ما فيها غير الشعر، أفيسر أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق؟! فضحك من قولي حتى إستلقى على

قفاه، وعدل عنها، وبلغ قولي أم جعفر فأجزلت لي الجائزة.

أخبرني عمي الحسن بن محمد والحسن بن علي قالوا: حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال حدثني محمد بن هارون، عن يعقوب بن إبراهيم: أن الرشيد طلب من الناطفي جاريته، فأبى أن يبيعها بأقل من مائة ألف دينار، فقال له: علي أن أعطيها على ضرب سبعة دراهم بدينار، فيصح لك سبع مائة درهم فامتنع عليه فأمر بأن تحضر، فأحضرت، فذكر أنها جلست في مجلسها على حالها تنتظره، فدخل إليها، فقال لها: إن هذا قد إعتاص علي في أمرك، فقالت: فما يمنحك أن ترضيه وتوفيه؟ قال: ليس يقنع بما أعطيته، وأمرها بالإنصراف.

فتصدق الناطفي بثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه، ولم تنزل في قلب الرشيد، حتى مات مولاهما، فبعث مسرور الخادم، حتى أخرجها إلى باب الكرخ، وأقامها على سرير، وعليها رداء رشيدي، قد جللها، فنودي عليها فيمن يزيد؟، بعد أن شاور الفقهاء فيها، وقال: هذه كبد رطبة، وعلى الرجل دين، فأفتوا ببيعها، فبلغني أنها كانت تقول على المصطبة: أهان الله من أهاني ورذل من رذلي! فلكرها مسرور، فبلغت في النداء مائتي ألف درهم، فجاء رجل فزاد فيها خمسة وعشرين ألف درهم، فلطمه مسرور، وقال: أتزيد على أمير المؤمنين؟! ثم بلغ بها مائتين وخمسين ألف درهم، فأخذها له، ولم يكن فيها شيء يعاب، فطلبوا فيها عيباً لثلاث تصيبها العين، فأوقعوا في خنصر رجلها شيئاً في ظفرها، فأولدها الرشيد ولدين ماتا صغيرين، ثم خرج بها إلى خراسان، فمات هناك، وماتت عنان بعده بمدة يسيرة.

قال أبو الفرج: وروى ابن عمار هذا الخبر عن محمد بن القاسم بن مهرويه، وذكر أنه أوقف ابن مهرويه على أنه خطأ، وأن عنان خرجت إلى مصر، وماتت بها حين أعتقها النطاقي، وقالت تربيته بمصر:

حتى رميت بسهمك

يا دهر أفنيت القرون ولم تنزل

النطافا

يا ناطفي وأنت عنا نازحما كنت أول من دعوه فوافي

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وعلي بن سليمان الأخفش عن المبرد عن المازني، عن الأصمعي: وقال ابن عمار عن بعض أصحابه، أظنه المازني، عن الأصمعي، قال: ما رأيت أثر النبذ في وجه الرشيد قط، إلا مرة واحدة!، فاني دخلت إليه أنا وأبو حفص الشطرنجي فرأيته حائراً - وفي أصل بائراً فقال: استبقا إلى بيت، بل إلى أبيات، فمن أصاب ما في نفسي، فله عشرة آلاف درهم! فوقع في نفسي أنه يريد جارية الناطفي، قال: فأشفقت ومنعتني هيبتة وبدر الشطرنجي بجرأة العميان، فقال:

ما له همة سوى ذكراك

من لقلب متيم بك صب

كلما دارت الزجاجاة زادته م إشتياقاً وحرقة فبكاك

فقال: أحسنت، لك عشرة آلاف درهم، فزالت الهيبة عني، فقلت:

وتجافت أمنييتي عن سواك

لم ينلك الرجاء أن تحضريني

فقال: أحسنت، لك عشرة آلاف درهم، فزالت الهيبة عني، فقلت:

وتجافت أمنييتي عن سواك

لم ينلك الرجاء أن تحضريني

فقال: أحسنت! لك عشرون ألفاً أخرى، وأطرق ثم قال: أنا والله أشعر منكما، ثم قال:

نعاساً لعل عيني تراك!

قد تمنيت أن يغشيني الله

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال حدثني أحمد بن المعلى الراوية، قال: كتبت عنان جارية الناطفي إلى جعفر بن يحيى البرمكي تسأله أن يسأل أباه، أن يكلم الرشيد في أن يشتريها - أو يشير عليه بذلك - فقالت:

من ذا على حر الهوى يصبر

يا لائمي جهلاً ألا تقصر

صرفاً، فمزوج الهوى يسكر

لا تلحني أني شربت الهوى

بحر وقدامي له أبحر

أحاط بي الحب، فخلفي له

فوقي، وحولي للردى عسكر

تخفق رايات الهوى بالردى

أقل فيه، والذي يكثر

سيان عندي في الهوى لائم

يا جعفر الخيرات، يا جعفر

أنت المصفي من بني برمك

ما فيه من فضل، ولا يحصر

لا يبلغ الواصف في وصفه

فجعفر أراضه أوفر

من وفر العرض بأمواله

وفي يديه العارض الممطر

ديباجة الملك على وجهه

ينهل منها الذهب الأحمر

سحت علينا منهم ديمة

أنضر فيها الورق الأخضر

لو مسحت كفاه جلمودة

يصبر للبدل كما يصبر

لا يستتم المجد إلا فتى

فخراً، ويزهى تحته المنبر

يهنر تاج الملك من فوقه

أشبهه البدر إذا ما بدا
والله ما أدري أبدى الدجى
وغيره في وجهه تزهو
في وجهه أم وجهه أنور؟
يستمطر الزوار منك الغنى
وأنت بالزوار تستبشر
عودت طلاب الندى عادة
إن قصروا عنك فما تقصر

وكتبت تحت الأبيات تسأله حاجتها، فركب من ساعته إلى أبيه فكلمه في أمرها، فكلم الرشيد في ذلك، وأشار عليه فلم يقبل، وإمتنع من شرائها لشهرتها وما قيل فيها من هجاء الشعراء، وقال له: أشتريها بعد قول أبي نواس:

ما يشتريها إلا ابن زانية
أو قلوبان يكون من كانا!؟

دنانير جارية محمد بن كناسة

مولدة، من مولدات الكوفة، رباها محمد بن كناسة، وأدبها، وخرجت: شاعرة، أديبة، فصيحة، وقيل أنها كانت تغني، وذلك باطل! كان محمد بن كناسة، رجلاً زاهداً، نبيلاً، وهو ابن خالة إبراهيم بن أدهم وليس مثله من يعلم جارية له: الغناء! أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال حدثني ابن أبي الدنيا، قال: كتب الي الزبير بن بكار، يذكر أن علي بن عثمان الكلابي حدثه، قال: جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة، وكانت جاريته دنانير جالسة، فقالت لي: مالك محزوناً يا أبا الحسن؟ قلت: رجعت من دفن أخ لي من قريش، فسكتت شيئاً، ثم قالت:

بكييت على أخ لك من قريش
وما كنا عرفناه ولكن
فأبكانا بكاؤك يا علي!
طهاره صحبه: الخبر الجلي

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق، قال حدثنا الزبير بن بكار، قال أخبرني علي بن عثمان الكلابي، قال: كانت لابن كناسة، جارية، شاعرة، مغنية، يقال لها: دنانير، وكان له صديق يكنى أبا الشعثاء، وكان عفيفاً، مزاحاً، وكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته، ويعرض لها بأنه يهواها، فقالت فيه هذه الأبيات:

لأبي الشعثاء حب ظاهر
يا فؤادي فزادجر عنه ويا
ليس فيه مطعن للمتهم
عبث الحب به فاقعد وقم
ورسالات المحبين الكلم
راقني منه كلام فاتن

مثل ما تأمن غزلان الحرم

يا أبا الشعثاء لله وصم

جنة الخلد إن الله رحم

يا فاعاً قد كملت فيك النعم

قانص تأمنه غزلانه

صل إن أحببت أن تعطى المنى

ثم ميعادك يوم الحشر في

حيث القاك غلاماً ناشئاً

أخبرني وكيع، قال أخبرني ابن أبي الدنيا، قال حدثني محمد بن علي بن عثام الكلابي عن أبيه، قال: كنت يوماً عند ابن كناسة، فقال أعرفكم شيئاً من فهم دنانير؟ يعني جاريتها، قلنا: نعم، فكتب إليها: إنك أمة ضعيفة، ورهاء، خرفاء، فاذا أتاك كتابي هذا فعجلي جوابي، فكتبت إليه: قد ساءني تهجينك عند أبي الحسن، وإن أعياء العي: الجواب عما لا جواب له، والسلام.

حدثني أحمد بن العباس العسكري المؤدب، قال حدثني به: الحسن بن عليل العتري، قال حدثنا أحمد بن محمد الأسدي، قال حدثنا خالي موسى بن صالح قال: ماتت دنانير جارية محمد بن كناسة، وكانت أديبة شاعرة، فقال يرثيها:

يا ليت ما كان منك لم يكن

أفحمني غير شدة الحزن

الحمد لله لا شريك له

إن يكن القول قل فيك فما

فضل الشاعرة اليمامية

جارية المتوكل

توفيت 257هـ، وقيل 260 جمع المستشرق هوار شعرها في المجلة الآسيوية: 1881مج-17.

قال ابن النديم ان شعرها يقع في عشرين ورقة: الفهرست: ط. طهران.

ترجمتها وأخبارها في: الأغاني 19: 300-314.

أمالي القاضي.

طبقات ابن المعتز.

الأربعة في أخبار الشعراء لابي هفان. جمع وتحقيق هلال ناجي مجلة المورد.

المحاسن والاضداد: 198.

الاماء من شواعر النساء: 53-54.

بدائع البدائة: 50، 150.

نساء الخلفاء: 84-90.

المنتظم: حوادث 257هـ فوات الوفيات نشرة إحسان عباس.

المستظرف للسيوطي.

الوافي.

سيدات البلاط العباسي.

النجوم الزاهرة.

سمط اللائي.

تاريخ الأدب العربي لبروكلمان الطبعة الأروبية.

تاريخ التراث العربي لسزكين بالألمانية قسم الشعر.

كانت فضل مولدة، من مولدات البصرة، وبها نشأت، وكان مولدها باليمامة، وذكرها محمد بن داود بن الجراح فقال: أنها عبديّة، وكذلك كانت تزعم هي وتقول أن أمها علقت بها من مولى لها من عبد القيس وأنه مات وهي حامل بها، فباعها ابنه، فولدت على سبيل الرق، وذكر عنها من جهة أخرى أن أمها ولدتها في حياة أبيها فرباها وأدبها فلما توفي، تواطأ بنوه على بيعها، فبيعت، فاشتراها محمد بن الفرّج الرخجي - أخو عمو بن الفرّج - وأهداها إلى المتوكل.

وكانت سمراء، حسنة الوجه، والقد والجسم - شكلة، حلوة، أدبية، فصيحة، سريعة الهاجس مطبوعة في قول الشعر، متقدمة لسائر نساء زمانها فيه.

أخبرني محمد بن المرزبان وجعفر بن قدامة، قالوا: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، واللفظ لجعفر، قال: جلبت فضل الشاعرة، من البصرة، فاشتراها رجل من النخاسين يقال له: حسنوية بعشرة آلاف درهم، وبلغ خبرها محمد بن الفرّج الرخجي أخو عمر بن الفرّج الرخجي، فاشتراها وأهداها إلى المتوكل. قال جعفر بن قدامة وقال محمد بن خلف أن الذي إبتاعها محمد أخوه، فأهداها إلى المتوكل، فكانت تجلس في مجلسه على كرسي، تقارض الشعراء والشعر بحضرته، فألقى عليها يوماً أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي:

أشهى المطى إلي ما لم يركب

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم

لبست وحة لؤلؤ لم تنقب

كم بين حبة لؤلؤ منقوبة

فقلت فضل مجيبة له:

حتى تذلل بالزمام وتركب

إن المطية لا يلذ ركوبها

حتى يؤلف بالنظام ويتقب

والدر ليس بنافع أربابه

وفي رواية جعفر حتى تذلل بالزمام وتركبا.
والبيت الثاني: حتى تؤلف بالنظام وتتقبا.

حدثني عمي الحسن بن محمد ومحمد بن خلف وكيع وجعفر بن قدامة، قالوا: حدثنا أبو العيلاء، قال: لما دخلت فضل الشاعرة على المتوكل يوم أهديت إليه، قال لها: أشاعرة أنت؟ قالت هكذا يزعم من باعني وإشتراني!، فضحك وقال: أنشدنا شيئاً من شعرك، فأنشدته هذه الأبيات:

إستقبل الملك إمام الهدى
خلافة أفضت إلى جعفر
إنا لنرجو يا إمام الهدى
لا قدس الله إمرأ لم يقل
عام ثلاث وثلاثين
وهو إبن سبع بعد عشرين
أن تملك الملك ثمانين
على دعائي لك: آمينا

فاستحسن الأبيات، وأمر لها بخمسين ألف درهم، وأمر عريباً فغنت بها.

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال حدثني أحمد بن حمدون: أبو عبد الله، قال: عرضت على المعتمد جارية تباع، في خلافة المتوكل، يقال لها علم الحسن، مغنية، حسنة الوجه، - وهو يومئذ غلام حديث السن - وأخرجها مولاها إلى ابن الأغلب، فبيعت هناك، فلما ولي المعتمد الخلافة، سأل عنها، وقد ذكرها وأعلم أنها بيعت بالقيروان، وأولدها سيدها، فقال لفضل الشاعرة: قولي فيها شيئاً! فقالت فيها هذه الأبيات:

علم الجمال تركنتني
ونصبتني يا منيتي
فارقنتني بعد الدنوم فصرت عندي كالحلم
فلو أن نفسي فارقت
ما كان ضرك لو وصل
برسالة تهدينها
أو لا فطيفي في المنا
صلة المحب حبيبه
في الحب أشهر من علم
غرض المظنة والتهم
جسمي لفقدك لم تلم
ت فخف عن قلبي الألم
أو زورة تحت الظلم
م فلا أقل من اللمم
الله يعلمه كرم

قال أبو الفرج: وقد حدثني بهذا الحديث علي بن صالح، عن أحمد بن أبي طاهر؛ إنه ألقى على فضل
الشاعرة:

علم الجمال تركنتي في الحب أشهر من علم
فقلت:

وأبحتني يا سيدي سقماً يحل عن السقم
وتركنتني غرضاً فديتك للهوان وللتهم !

حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال كتب بعض أهلنا الى فضل الشاعرة:

أصبحت صباً هائم العقل الى غزال حسن الشكل
أضنى فؤادي بعد عهدي به وبعده مني ومن وصلي
منية نفسي في هوى فضل أن يجمع الله بها شملي
أهواك يا فضل هوى خالصاً فما لقلبي عنك من شغل
فأجابته:

الصبر ينقص والسقام يزيد والدار دانية وأنت بعيد
أشكوك أم أشكو إليك فإنه لا يستطيع سواهما المجهود
إنني أعوذ بحرمتي لك في الهوى من أن تطاوع في قول حسود
في هذه الأبيات رمل طنبري وأظنه لحظته.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال أخبرني الحسن بن عيسى ابن الكوفي، قال حدثني أبو دهمان، قال
محمد بن خلف، وأخبرني بهذا الخبر: عبد الله بن نصر المرزوي، قال: كانت فضل الشاعرة من أحسن
الناس وجهاً وخلقاً وخلقاً، وأرق شعراً، فكتب إليها بعض من كان يجمعه وإياها مجلس الخليفة، وكان
يهواها ولا يطلعها على حبه لها:

ألا ليت شعري عنك هل تذكريني فذكرك في الدنيا الي حبيب
وهل لي نصيب في فؤادك ثابت كما لك عندي في الفؤاد نصيب
ولست بمتروك فأحيا بزورة ولا النفس عند اليأس عنك تطيب
فكتبت إليه هذه الأبيات:

نعم وإلهي إنني بك صبة فهل أنت يا من لا عدمت مثيب

لمن أنت منه في الفؤاد مصور وفي العين نصب العين حين تغيب

فتق بوداد أنت مظهر فضله على أن بي سقماً وأنت طبيب!

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال حدثني أبو العباس المرزوي قال: قال المتوكل لعلي بن الجهم، قل بيتاً، وقل لفضل الشاعرة تجيزه، فقال علي: أجزبي يا فضل:

لاذ بها يشتكى إليها فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت هنيئة، ثم قالت:

فلم يزل ضارعاً إليها تهطل أجفانه رذاذا

فعاتبوه فزاد عشقا فمات وجداً فكان ماذا؟

فأطرب المتوكل، وقال أحسنت وحياتي يا فضل وأمر لها بألفي دينار، وأمر عريباً، فغنت فيه صوتها: الهزج.

قال أبو الفرج ونسخت من كتاب جعفر بن قدامة: حدثني: علي بن يحيى المنجم، وقد حدثني بعض أصحابنا عن رجل، عن علي بن يحيى قال: دخلت الى المتوكل يوماً، فدفعت الي رقعة وأمرني بقراءتها، فقرأتها فإذا فيها:

قد بدا شبهك يا مو لاي يحدو بالظلام

قم بنا نقض لبانا ت التثام والتزام

قبل أن تفضحنا عو دة أرواح النيام

فقلت ملح والله قائلها!، فمن هو؟ قال: واعدت فضلاً البارحة، أن تبئت عندي، فسكرت سكرًا شديدًا منعي من ذلك، فلما أصبحت وجدت هذه الرقعة في كمي وهي بخطها.

حدثني لحظة، قال حدثني ابن الدهقانة النديم عن عبد الله بن عمر بن المرزبان قال: قالت لي فضل: وعدني أمير المؤمنين أن أبيت عنده، وأشرب فسكرت، وخرجت مع العتمة، فجلست أغمز رجله ملياً، ثم قمت إلى جنبه فلم يتحرك من نومه، فكتبت في رقعة وجعلتها في كمي، وذكرت الأبيات، فلما أصبح قرأها، وضحك ثم دعاني، فوهب لي ألف دينار، وتكون الليلة عوض البارحة!.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال: خرجت قبيحة إلى المتوكل في يوم نيروز، وفي يدها كأس بلور شراب فقال لها: ما هذا؟ قالت: هديتي إليك من هذا النيروز عرفك الله بركته، فشرب الكأس، وقبل خدها، فقالت فضل:

سلافة كالقمر الباهر
في قدح كالكوكب الزاهر

يديرها خشف كبدر الدجى
فوق قضيب أهيف ناضر

على فتى أروع من هاشم
مثل الحسام المرهف الباتر

أخبرني محمد بن خلف، قال حدثني أبو الفضل المرزوي قال: اجتمعت فضل الشاعرة وسعيد بن حميد في مجلس، فأخذت دواة ودرجاً وكتبت إليه:

بنثت هواك في جسدي وروحي
فألف فيهما طمعاً بيبأس

فكتب إليها تحت البيت:

كفانا الله شر اليأس إنني
لخوف اليأس أبغض كل آسى

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة:

ومستفتح باب البلاء بنظرة
تزود منها قلبه حسرة الدهر

قالت:

فو الله ما يدري أتدري ما جنت
على قلبه أم أهلكته وما يدري؟

أخبرني محمد بن خلف، قال حدثني أبو يوسف الضيرير المعروف بابن الدقاق، قال: صرت أنا وأبو منصور الباخري الى فضل الشاعرة، فحجبنا، وما علمت بنا، ثم بلغها خبرنا بعد إنصرافنا فغمها ذلك، وكرهته، فكتبت إلينا تعتذر، فقالت:

وما كنت أخشى أن تروا لي زلة
ولكن أمر الله ما عنه مذهب

أعوذ بحسن الصفح منكم وقبلنا
بصفح و عفو ما تعوذ مذنب

فكتب إليها أبو منصور الباخري:

لئن أهديت عتباك لي ولأخوتي
لمتلك يا فضل الفضائل يعتب

إذا إعتذر الجاني، محا العذر ذنبه
وكل إمريء لا يقبل العذر مذنب

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال حدثني محمد بن الوليد قال حدثني علي بن الجهم، قال: كنت يوماً عند فضل الشاعرة، فألحظتها لحظة إستراحت بها، فقالت:

يا رب رام حسن تعرضه
يرمي ولا يشعر أنني عرضه

فقلت:

وأي عقد محكم لا ينقضه!

أي فتى لحظك ليس يمرضه؟

فضحكت وقالت: خذ في غير هذا الحديث.

حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني ابن حميد، قال: قلت لفضل الشاعرة أجيزي:

من لمحب أحب في صغره؟

فقالت:

فصار أهدوثة على كبره!

فقلت:

من نظر شفاه وأرقه

فقالت:

فكان مبدا هواه من صبره!

ثم شغلت بالشراب هنيئة، ثم قالت:

مر الليالي يزيد في فكره

لولا الأمانى لمات من كمد

بالليل في طوله وفي قصره

ليس له مسعد يساعده

الجسم يبلى فلا حراك بهو الروح فيما أرى على أثره!

حدثني الحسن بن محمد، والحسن بن علي قالوا: أخبرنا ابن أبي الدنيا، قال حدثني ميسرة بن محمد، قال

حدثني عبيد بن محمد قال: قلت لفضل الشاعرة ماذا نزل بكم البارحة؟! وذلك صبيحة قتل المنتصر أو

المعتر فقالت وهي تبكي:

ما كان أغفلنا عنه وأسهاننا!

إن الزمان بذحل كان يطلبنا

ما لي وللدهر ما للدهر لا كانا!

ما لي وللدهر قد أصبحت همته

قال أبو الفرج: قرأت في بعض الكتب عن عبد الله بن المعتز قال: قال لي إبراهيم بن المدبر: كانت فضل

الشاعرة من أحسن خلق الله خطأً وأفصحهم كلاماً، وأبلغهم في مخاطبة، وأثبتهم في محاوراة فقلت يوماً

لسعيد بن حميد، أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل، رقاعها، وتفيدها وتخرجها، فقد أخذت تجول في

الكلام، وسلكت سبيلك، فقال وهو يضحك: ما تحسن ظنك! ليتها تسلم مني، لا آخذ كلامها

ورسائلها! والله يا أخي لو أن أحد أفاضل الكتاب وكبراءهم وأمائلهم أخذ عنها، لما إستغنوا عن ذلك!.

وكانت فضل تهوى سعيد بن حميد ويهاوها ولكل واحد منهما في صاحبه أشعار - ذكرتها في أماكنها -

ثم عدلت عنه إلى بنان المغني فعشقتة.

حدثني جحظة، قال حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: أمر المتوكل بأن تضرب مضاربة على القاطول، وتحذر هناك ويقيم شتوية على القاطول، فقالت فضل الشاعرة:

قالوا لنا أن بالقاطول مشتانا
والناس يأتمرون الغيب بينهم
رب يرى فوق ملك العالمين له
ملكاً وفوق ذوي السلطان سلطانا
ونحن نأمل صنع الله مولانا
والله في كل يوم محدث شانا

وغنت فيه عريب، فلما أخذ النبيذ في المتوكل غنته بهذا الصوت فطرب، وأمر بإبطال ما كان عزم عليه، وقال: إذا كرهتم هذا كرهناه.

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال حدثني عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود، قال: وقع بين سعيد بن حميد وبين فضل الشاعرة، مشاجرة لشيء بلغها عنه، فكتب إليها:

تعالى نجدد عهد الصبا
ونجري على سنة العاشقين
ويبذل هذا لهذا رضاه
ونخضع ذلاً خضوع العبيد
فإنى مذلج هذا العتاب
ونصفح عن الذنب فيما مضى
ونضمن عني وعنك الرضا
ويصبر في حبه للقسا
لمولى عزيز إذا أعرضا
كأنى أبطنت جمر الغضى

فصارت إليه، وصالحته.

قال أبو الفرج: ولهاشم بن سليمان في هذا الشعر لحن من ثقل الأول بالوسطى، ذكره لي عمي وابن بانه.

حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني ميمون بن إبراهيم، قال: كنت أنا وسعيد بن حميد، نشرب عند الحسن بن مخلد فجاء سعيد برقعة، عن فضل الشاعرة فدفعها إليه فقرأها، ولحظه الحسن، فقال له بحياتي هذه رقعة فضل الشاعرة؟! فشور ثم صدقه، فقال هاتما: فأعطاه إياها، وقرأناها فإذا فيها مكتوب:

نفسى فداؤك طال العهد وإتصلت
والله يعلم أنى فيك ساهرة
فان تكن خنت عهدي فو أسفاً
وإن تبدلت منى غادراً خلفاً
منك المواعيد والليان والخلف
ودمع عيني منها بارق يكف
وقل منى فيك الهم والأسف
فليس منك ورب العرش لي خلف

فكتب اليها:

يا واصف الشوق عندي فوق ما تجد

دمع يفيض وقلب خافق يجف

فكن على ثقة مني وبينه

إني على ثقة من كل ما تصف

ق94 أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة، قال حدثني محمد بن السري، أنه صار إلى سعيد بن حميد، وهو في دار الحسن بن مخلد في حاجة له، قال: بينما أنا عنده، إذ جاءته رقعة لفضل الشاعرة وفيها هذان البيتان:

الصبر ينقص والسقام يزيد

والدار دانية وأنت

بعيد أشكوك أم أشكو إليك فإنه

لا يستطيع سواهما المجهود

أنا يا أبا عثمان قد مت قبلك، في حال التلف، وما عدتني ولا سألت عن خبري فأخذ بيدي، ومضينا إليها عايدين، فقالت له: هو ذا أموت وتستريح مني!، فانشأ يقول:

لا مت قبلك بل أحيأ وأنت معاً

ولا أعيش إلى يوم تموتينا

حتى نعيش كما نهوى ونأمله

ويرغم الله فينا أنف شائنا

حتى إذا ما قضى الرحمن منيتنا

وحل من أمرنا ما ليس يعدونا

متنا جميعاً كغصني بانه ذبلاً

من بعد ما نضرا واستوسقا حيناً

ثم السلام علينا في مضاجعنا

حتى يعود إلى تدبير منشينا

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال حدثني ميمون بن هارون قال: أن سعيد بن حميد كان مشغولاً بفضل الشاعرة، ولم يزل بكاتبها ويراسلها، ويشكو هواه إليها حتى واصلته.

قال ميمون، وأقرأني رقعة منها إليه، تعاتبه على حصوله مع مغنية، وتحميشه لها، وفي آخرها:

خنت عهدي وليس ذاك جزاء

يا صناع اللسان مر الفعال

وتبدلت بي بدلاً فلا يهن م ك ما إخترته من الأبدال

فأجابها بحضرتي، باعتذار طويل، وكتب في آخر الرقعة:

تظنون أني قد تبدلت بعدكم

بديلاً وبعض الظن إثم ومنكر

إذا كان قلبي في يديك رهينة

فكيف بلا قلب أصافي وأهجر؟!!

وفي هذين البيتين لسليمان بن الفضل القصار، رمل وخفيف رمل محدث.
حدثني عمي الحسن بن محمد، قال حدثني عبد الله بن أبي سعيد، قال حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود: أن أباه كان يستحسن قول سعيد بن حميد:

تظنون أني قد تبدلت بعدكم بديلاً، وبعض الظن إثم ومنكر

ويقول: لئن عاش هذا الغلام ليكون له شأن من الشؤون.

حدثني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب، قال إسحاق بن مسافر: إنه كان عند سعيد بن حميد يوماً، فدخلت عليه فضل الشاعرة على غفلة، فوثب إليها وسلم عليها، وسألها أن تقيم عنده، فقالت: قد جاءني وحياتك رسول الخليفة، وليس يمكنني الجلوس عندك، وكرهت أن أمر ببابك ولا أراك، فقال سعيد على البديهة:

قربت ولم نرج اللقاء ولا نرى لنا حيلة يدنيك منا إحتيالها
فأصبحت كالشمس المنيرة ضوءها قريب ولكن أين منا منالها؟
كظاعة ضنت بها غربة النوى علينا ولكن قد يلم خيالها
تقل بها الآمال ثم تعوقها مماظلة الدنيا بها وإعتلالها
ولكنها أمنية فلعلها وجود بها صرف النوى وإنفتالها

حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون، قال: غضبت فضل الشاعرة على سعيد بن حميد فكتب إليها:

يا أيها الظالم مالي ولك أهكذا تهجر من واصلك!
لا تصرف الرحمة عن أهلها قد يعطف المولى على من ملك
ظلمت نفسك فيك علقنتها فدار بالظلم عليها الفلك
تبارك الله فما أعلم الله بما ألقى وما أغفلك!

فراجعتة وواصلته، وصارت إليه جواباً عن رقعته. ولعريب في هذا الأبيات لحنان: ثقيل ثاني، وهوج ذكرهما لها ابن المعتز.

حدثني علي بن العباس بن أبي طلحة، قال حدثني: أبو العباس بن أبي المدور، قال: كان سعيد بن حميد صديقاً لأبي العباس بن ثوبة فدعاه يوماً، وجاءه رسول لفضل الشاعرة يسأله المصير إليها، فمضى معه، وتأخر عن أبي العباس، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها عتاباً فيه توبيخ وتعنيف فكتب إليه سعيد:

أقل عتابك فالزمان قليل
لم أبك من زمن ذممت صروفه
ولكل نائبة المت مدة
والمنتمون إلى الأخاء جماعة
ولعل أحداث الليالي والردى
فلئن سبقت لتبكين بحسرة
ولتفجعن بمخلص لك وامق
والتفجعن بمخلص لك وامق

ولئن سبقت ولا سبقت ليمضين من لا يشاكله لدي عديل
وليذهن جمال كل مروءة
وأراك تكلف بالعتاب وودنا
ود بدا لذوي الإخاء صفاؤه
ولعل أيام الحياة قصيرة
وليعفون فناؤها المأهول
باق عليه من الوفاء دليل
وبدت عليه بهجة وقبول
فعلام يكثر عتبنا ويطول؟!
وليعفون فناؤها المأهول

حدثني عمي، قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال: كتبت فضل
الشاعرة إلى سعيد بن حميد أيام كانت بينهما محبة وتواصل ق30.

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى لأقصرت عن أشياء في الهزل والجد

ولكنني أبدي لهذا مودة
مخافة أن يغرى بنا قول كاشح
فكتب إليها سعيد بن حميد:
وذلك وأخلو فيك بالبت والوجد
عدوم فيسعى بالوصال إلى الصد

تنامين عن ليلي وأسهره وحدي
فإن كنت لا تدريين ما قد فعلته
فأنهي جفوني أن تبتك ما عندي
بنا فانظري ماذا على قاتل العمدة؟

هكذا ذكر ابن مهرويه، قال عمي، وهكذا حدثني به علي بن الحسين بن عبد الأعلى الأسكافي، قال:
حضر سعيد بن حميد مجلساً حضرته فضل الشاعرة وبنان، وكان سعيد، يهواها، وكانت تظهر له هوى،
ويتهمها سعيد مع ذلك بنان، فرأى فيها إقبالاً شديداً على بنان، فغضب، وإنصرف، فكتبت إليه فضل
هذه الأبيات المذكورة آنفاً، وأجابها سعيد بالأبيات المذكورة.

وحدثني عمي، قال حدثني ميمون بن هارون قال: رأيت فضل الشاعرة وسعيد بن حميد ليلة، بوعد سبق بينهما، فلما حصلت عنده، جاءتها جاريتها، فبادرت وأعلمتها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها فقامت من وقتها ق 31 فمضت، فلما كان من الغد كتب إليها سعيد بن حميد:

ضن الزمان بها فلما نلتها

ورد الفراق فكان أقبح وارد

والدمع ينطق بالضمير مصدقا

قول المقر مكذبا للجاحد

حدثني إبراهيم بن القاسم بن زرور قال حدثني أبي، قال: فصد سعيد بن حميد العرق لحمي كان يلحقه في كبده، فسألني فضل الشاعرة، وسألت عربياً أن تساعدني في المسير إليه، وأهدت له: هدايا فيها ألف جدي وألف دجاجة فائقة وألف طبق فاكهة وريحان، وطيباً كثيراً وشراباً وتحفاً حسناً، فكتب إليها سعيد: سروري لا يتم إلا بحضورك! قال فجاءته في آخر النهار، وجلسنا لنشرب، فاستأذن غلامه لبنان، فأذن له -فدخل إلينا- وهو يومئذ شاب طرير، حسن الوجه، حسن الغناء، سري الملبوس، عطر الشكل، فذهب بما كل مذهب، وبان فيها ذلك: بإقبالها عليه، ينظرها وحديثها، فتنمر سعيد وأستطير غضباً، وتبين بنان القصة، فانصرف، وأقبل سعيد يعذلها ساعة ويوجهها، ويؤنبها أخرى وهي تعتذر ثم سكت، فكتبت إليه فضل ق 32:

يا من أطلت تفرسي

في وجهه وتنفسي

أفديك من متدل

يزهى بقتل الأنفس

هيني أسأت وما أسأت بلى أقول أنا المسى

أحلفتني أن لا أسا

رق نظرة في مجلس

فنظرت نظرة مخطئ

ووصلتها بتفرس

ونسيت أنني قد حلفت فما عقوبة من نسي؟

يا من حكاه الياسمين وطيب ريح النرجس

إغفر لعبدك ما جنا

ه من اللحاظ الخلس!

وزادت فيه عريب:

قالوا عقوبته الجفا

ويسا إليه كما يسى!

فقام سعيد وقبل رأسها، وقال لا عقوبة عليك، بل يحتمل هفوتك، ويتجاوز عن إساءتك، وغنت عريب في هذا الشعر، رملاً وهزجاً، وشربنا عليه بقية يومنا ثم إفترقنا وقد أثر في قلبها، وعلقته، ولم يزل يواصلها

سراً حتى ظهر أمرهما.

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال حدثني ابن أبي المدور الوراق، وكان في جملة سعيد بن حميد، قال: كنت عند سعيد يوماً وقد ق33 إبتداء ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعب، لما بلغه ميلها إلى بنان وهو بين المصدق لذلك والمكذب، ثم أقبل على صديق له فقال: أصبحت والله من فضل في غرور، أحادع نفسي بتكذيب العيان!، وأمنيتها ما قد حيل دونه!. والله إن إرسالي إليها -بعد ما قد بان لي منها- لذل وإن عدولي عنها وفي أمرها شبهة- لعجز وغبن، وإن صبري عنها لمن دواعي التلف، والله در محمد بن أمية حيث يقول:

يا ليت شعري ما يكون جوابي
وأما الرسول فقد مضى بكتابي
وتقسمت نفسي الظنون وأشعرت
طمع الحريص وخيفة المرتاب
وترو عني حركات كل محرك
للباب يطرقه وليس ببابي
كم نحو باب الدار لي من وثبة
أرجو الرسول بمطمع كذاب!
والويل لي من بعد هذا كله
إن كان ما أخشاه رجع جوابي!

حدثني جحظة، قال حدثني ميمون بن هارون، قال: لما إتصل ما بين بنان وفضل الشاعرة وعدلت عن سعيد بن حميد أسف عليها، وجزع جزعاً: إمتنع من الشراب، وعشرة الأخوان، وهو مع ذلك يظهر التجلد ثم قال فيها ق34:

قالوا تعز فقد بانوا فقلت لهم:
وكيف يملك سلواناً لحبهم
كانت عزائم صبري أستعين بها
من لم يطق للهوى سراً وإعلانا
ولا خير في الحب لا تبدو شواهد
صارت علي بحمد الله أعوانا
ولا ترى منه في العينين عنوانا

قال جحظة: وغني بعض المحدثين في هذا الشعر لحناً حسناً رماً وهو مشهور، وعني نفسه. حدثني جحظة، قال حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: كانت فضل الشاعرة تميل إلى بنان وتكاتم المتوكل بجه، وكانت تجلس مع الندماء، بارزة على كرسي، فقال لها المتوكل: إقترحي صوتك على بنان، فقالت ما لي عليه صوت، فقال له: بجياتي غن صوتها عليك! فغني بشعر سلم الخاسر:

إسمعي أو خبرينا
يا ديار الظاعنينا
إن قلبي لك رهن
بالذي قد تعلمينا

فأمر أن يسقى رطلاً، فسقيته، وأمره بإعادته فغناه، فسقيته ثانياً ثم أعاده فسقيته ثالثاً.
قال علي بن يحيى: وقمت إلى الخلاء، وإذا بفضل قد عارضتني، وقالت إسمع يا أبا الحسن ق 35 ما قلت،
فقلت: هات، فأنشدتني هذه الأبيات:

قد تغني لي بنان
وشربت الراح فارتح
ثم أظهرت لجالا
قل لمولاي ولا تخ
رب صوت حسن قد
أنت قواد نبيل
وقد قال علي بن الجهم في ذلك:

كُلما غنى بنان
أنشدت فضل ألا حيت عنا يا مدينا

رب صوت حسن قد
أورث الرأس قرونا

ولعل لحظة وهم في إدخال هذا البيت في أبيات فضل وحدثني علي بن صالح الهيثمي، قال حدثني أحمد
بن الهيثم المادرائي، قال: لما إنكشف لسعيد بن حميد عشق فضل الشاعرة لبنان، واصل جارية من جوارى
القيان، فكتبت إليه فضل:

يا عالي السن سيء الأدب
ويحك إن القيان كالشرك المنصوب بين الغرور والعطب
لا يتصددين للفقير، ولا
بيننا تشكى هوك إذ عدلت
شبت وأنت الغلام في الطرب
عن زفرات الشكوى إلى الطلب
تلحظ هذا وذا وذاك وذا
لحظ محب ولحظ مكتسب

حدثني لحظة، قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: غضب بنان على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها
فاعتذرت إليه فلم يقبل عذرها فكتبت إليه:

يا فضل صبراً إنها ميتة
ظن بنان أنني خنته
يجرعها الكاذب والصادق
روحي إذا من جسدي طالق!

تيماء جارية خزيمة بن خازم

حدثني عمي الحسن بن محمد وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال حدثني: أبو همام محمد بن سعيد الخطيب قال: كانت لخزيمة بن خازم: جارية، مدنية شاعرة، يقال لها: تيماء وكان بها مشغولاً، وهي القائلة وقد خرج إلى الشام ق37:

تفديك نفسي من سوء تحاذره
فأنت بهجتها والسمع والبصر
لئن رحلت، لقد أبقيت لي حزناً
لم يبق لي معه في لذة وطر
فهل تذكرت عهدي في المغيب كما
قد شفني الهم والأحزان والذكر

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال حدثني عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني عبد الله بن عمر الهيثمي، قال حدثني أحمد بن إبراهيم قال: حدثني تيماء جارية خزيمة بن خازم، قالت: عرضت على خزيمة بن خازم، جارية، مليحة، بكر، حلوة القد والوجه، فمال إليها وأقبل إلي كالمعتذر فقال:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم
أشهى المطى إلي ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ متقوبة
بذلت حبة لؤلؤ لم تنقب

فأجبتته:

إن المطية لا يلذ ركوبها
حتى تذلل بالزمام وتركب
والدر ليس بنافع أربابه
حتى يؤلف في النظام ويتقب

فضحك وإشترانا معاً، ثم غلبتها عليه بعد ذلك.

سكن جارية طاهر بن الحسين

كانت مولدة، بيضاء، حسنة الوجه والغناء، شاعرة، ربيت في دار ابن بخسار وأخذت الغناء منه ومن أبيه محمد وبناته وجواريه، وعن إسحق الموصلي وطبقته، وسمعا إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي، وإستحسننا طبعها.

وقال إبراهيم: ليت شعري - هذا السيف - لمن يشحذ؟! وكانت مع هذا، قوية الطبع في قول الشعر: فذكر أحمد بن أبي طاهر، عن إبراهيم الطبري، أنها كانت قد حظيت عند طاهر، حظوة شديدة، ثم غلبتها عليه جارية أخرى ملكها، فانقطع عنها لمدة، - شغلاً بتلك - ثم اجتاز بحجرتها، فوثبت، فقبلت يده،

فاستحيا منها، وقال لها: الليلة أزورك! فتأهبت وتزينت وتعطرت - ونسي طاهر وعده، وتشاغل عنها ليلته، فكتبت إليه:

ألا يأيها الملك الهمام

لأمرك طاعة ولنا ذمام

طمعنا في الزيارة وإنتظرنا

فلم يك غير ذلك والسلام!

فلما قرأ الرقعة، أطربته وحركته وأهاجت دواعيه، فقام فدخل إليها، فأقام عندها ثلاثاً وعاد لها إلى ما كان عليه، وهي القائلة في عدول طاهر عنها:

للامير المبارك الميمون

ذي اليمين طاهر بن الحسين

كنت لي مدة، فصار شريكى

فيك من لم يكن له أن يكون

فكتمناك ضعف ما قد شكونا

من تجافيك والحديث شجون

فنون جارية يحيى بن معاذ

حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني ابن زكريا بن يحيى بن معاذ، قال: كانت لبعض عماتي جارية، حسنة الوجه، شاعرة، وكان عمي يهواها ويكتب اليها فيما بينه وبينها فتجيبه وتخرق كتبه ويحتفظ هو بجواباتها، وكتب إليها يعاتبها على تخريقها رقاعه، وينسب ذلك إلى سوء العهد، وكتبت إليه:

يا ذا الذي لام في تخريق قرطاسي

كم مر مثلك في الدنيا على راسي!

الحزم تخريقه إن كنت ذا أدب وإنما الحزم سوء الظن بالناس

إذا أتاك وقد أدى أمانته

فاحفظ أساطيره من سائر الناس

وإشقق كتاب الذي تهواه مجتهداً

فرب مفتضح في حفظ قرطاس

فعلم أن الذي تفعله، أدخل في الحزم من فعله، فأمر بكتبتها المجتمععة عنده، فخرقت وأحرقته.

صرف جارية ابن خصير

مولى جعفر بن سليمان .

شاعرة، فصيحة، مغنية، حسنة الوجه، والغناء، كاتبة، من مولدات البصرة، ولها صنعة في الغناء. ذكر المهشامي منها هذا الصوت:

كريم يعض الطرف فرط حيائه

ويدنو وأطراف الرماح دوان

وكالسيف إن لاينته لان منته

وحده إن خاشنته خشنان

ولحنه من خفيف الرمل.

حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني: أبو هفان: قال حدثني عبد الصمد بن المعدل قال: كتبت إلى صرف جارية ابن خضير، وكانت أدبية شاعرة:

حبوت صرفاً بهوى صرف

لأنها في غاية الظرف

يا صرف ما تقضين في عاشق

بكاؤه بيدي الذي يخفي؟

فكتبت الي:

لبيك من داع أبا قاسم

حبك يدنيني من الحتف

صرف التي تسقيك صرف الهوى

وخلة جلت عن الوصف

نسيم جارية أحمد بن يوسف

الكاتب

مولدة، شاعرة، مغنية.. كان لها من قلبه مكان خطير، فلما مات أحمد بن يوسف الكاتب قالت ترثيه:

ولو أن حياً هابه الموت قبله

لما جاءه أو جاء وهو هيوب

ولو أن حياً قبله هابه البلى

إذا لم يكن للارض فيه نصيب

قال أبو القاسم، وهي القائلة وقد غضب عليها:

غضبت بلا جرم علي تجنياً

وأنت الذي تجفو وتهفو وتعذر

سطوت بعز الملك في نفس خاضع

ولولا خضوع الرق ما كنت أصبر

فان تتأمل ما فعلت تقم به ال

معاذير أو تظلم فانك تقدر!

فرضي عنها واعتذر إليها.

وقالت ترثيه:

نفسى فداؤك لو بالناس كلهم

ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا

وللورى موتة في الدهر واحدة

ولي من الهم والأحزان موتات!

عارم جارية زليهدة النحاس

كانت مولدة من مولدات البصرة، فاشتراها زلبهدة وإبتاعها منه بعض الكتاب ببغداد.
فحدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري، قال حدثني: ميمون بن هارون قال: حدثني الخاركي الشاعر،
قال:

مرت بي عارم جارية زلبهدة، يوماً وأنا محمور فقلت لها يا عارم، قالت: ما لك؟! قلت:

ينهض قدامي ويلقى خلفي

هل لك في أير وأيري مثلي؟

أدق عرقيه كأير بغل!

فضحكت ثم قالت:

مستحصف داخله كهمكا؟

هل لك في أضييق من حر أمكا

تموت إن أبصرته بهمكا!

فأخجلتني يعلم الله ، وإنصرفت.

سلمى اليمامية

جارية أبي عباد

أخبرني جعفر بن قدامة، قال حدثني محبرة قال: اشترى جدي أبو عباد، جاريته سلمى اليمامية من نخاس
مكي، قدم بها عليه، فلما جاءه بها، أراد أن يمتحنها فأنشد لفضل الشاعرة:

فصار أحدثه على كبره؟

من لمحب أحب في صغره

فكان مبدا هواه من نظره!

من نظر شفاه وأرقه

وقال لها أجزري ما سمعت! فقالت غير متوقفة:

بالليل في طوله وفي قصره

ما إن له مسعد فيسعدده

لولا التمني لمات من كمد والروح فيما أرى على أثره!

قال محبرة وأنشدني أبي يحيى بن أبي عباد لها:

أبقى البغيض وبنى إلفي

يكفي الزمان فعاله يكفي

شوقي إليك يجل عن وصفي

يا نازحاً شط المزار به

ما إلتذ بعدك بالكرى طرفي

أسهرت عيني في تفرقنا

ومن الكبائر تاكل تغفي!

أغفى لكى القاك في حلمي

مراد جارية علي بن هشام

كانت صفراء، مولدة من مولدات المدينة، فاشتراها علي بن هشام، لما حج وقدم بها معه، فكانت تقول الشعر في معاني، فتوجه وتداين به ما يهز من مديحه وأفعاله المستحسنة وأطرابه ومجالسه، وتغني في أشعارها بذل ومتميم وغيرهما من جواريه.

أخبرني أبو العباس الهشامي المعروف بالمسك، قال: إ، شاعرة علي بن هشام عليه، وهجرته، فكتب إليها:

فإن كان هذا منك حقاً فإنني
مداو الذي بيني وبينك بالهجر
ومنصرف عنك إنصرف ابن حرة
طوى وده والطي أبقى على النشر
فكُتبت إليه:

إذا كنت في رقى هوى وتملك
فلابد من صبر على مضمض الصبر
وإغضاء أجفان طوين على قذى
وإذعان مملوك على الذل والقسر
وذلك خير من معادة مالك
صبور على الإعراض والصد والهجر
وهي الفائلة ترثي مواليها:

هل مسعد لبكاء
بعبرة أو دماء
وذاك مني قليل
للسادة النجباء
أبكيهم في صباحي
بلوعة ومسائي

حدثني الهشامي قال: كتبت متميم وبذل كتاباً إلى علي بن هشام وهو بالجبل يتشوقانه، فقالت لهما مراد: إتركا لي في آخره، موضعاً، فتركاها، فكُتبت إليه:

نفسى الفداء وقلبي للذي رحلا
عنا وفارقنا وإستوطن الجبلا
نأى السرور وولى يوم ودعنا
وخلف الهم فينا بعده بدلا
فغنت فيه متميم لحناً من خفيف الرمل. وقالت لمراد قولي أشعاراً ترثين فيها مولاي حتى ألحنها الحان النوح، وأندبه بها فقالت عدة أشعار في مراثيه وناحت بها متميم.

منها:

عين جودي بعبرة وعويل
للرزقيات، لا لعافى الطلول
لعلي وأحمد وحسين
ثم نصر وبعده للخليل

وصنعت فيها متيم الحاناً، لم تنزل جواريتها ونساء آل هشام ينحن بها، عليهم.
فحدثني بعض عجائز أهلها، قالت: إني لأذكر - وقد توفي بعض آل هشام - فجاء أهله بنوائح فنحن عليه
نوحاً لم يبلغن ما أراد، وقام جوارى متيم فنحن بشعر مراد وألحان متيم في النوح، فاشتغل المأتم وإرتفع
البكاء والصراخ، وكانت ريق - جارية إبراهيم بن المهدي - قد جاءتنا قاضية للحق، فإني لأذكر من
ترخص قولها:

ثم نصر وقلبه للخليل

لعلي وأحمد وحسين

فبكت ريق بكاء شديداً، ثم قالت: رضي الله عنك يا متيم، فقد كنت علماً في السرور وأنت الآن علم في
المصائب!

متيم الهشامية

جارية علي بن هشام

كانت متيم تعبت بقول الشعر، ولم يقع الي شيء من شعرها، إلا في خبر حدثني به الحرمي بن أبي العلاء:
قال: حدثني الحسين بن محمد بن طالب الديناري، قال حدثنا: الفضل بن العباس بن يعقوب، قال: حدثني
أبي قال: قال المأمون لمتيم أجزبي هذين البيتين:

ملاحظة نومي بها ونشير

تعالى تكن للكتب بيني وبينكم

وعندي من شؤم الرسول أمور

فعندي من الكتب المشومة خيرة

فقلت:

على الخد من ماء الجفون سطور

جعلت كتابي عبرة مستهلة

إليك إشارات بها وزفير

ورسلي بحاجاتي وهن كثيرة

أخبرني لحظة، قال: قال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي، حدثني أبي، قال: كانت متيم جارية علي بن
هشام، شاعرة، فلما حبس المأمون مولاها علي بن هشام، كتبت إليه هذه الأبيات، وسألتني أن أوصلها
وأستعطفه على علي، ففعلت، فما عطف عليه، والأبيات:

ك علي، إن كان فوق الذنوب؟

قل لمأمون العلاما ذنب مولا

و بفضل المالك المحجوب

ما رئي فوق إرتفاعك بالعف

بثواب من الجواد المثيب

فتجشم كظماً لغيظك تسعد

وتغنم دعاء معولة حر

ى تقربك، من دعاء مجيب

وحدثني أبو العباس الهشامي، عن أبيه، وعن غيره من أهله: أن متيماً مرت على باب مولاها، فرأته وعليه المزابل، وهو مسود، فوفعت مغشياً عليها، ثم أفافت، وقالت:

يا منزلاً لم تبل أطلاله

حاشا لاطلاك أن تبلى

لم أبك أطلاك، لكنني

بكيت عيشي فيك ولى

قد كان لي فيك هوى مرة

غيبه الترب وما ملا

فصرت أبكي بعده جاهداً

عند إكاري حيث قد حلا

والعيش أولى ما بكاه الفتى

لا بد للمحزون أن يسلى

قال: ثم بكت حتى سقطت من قامتها، وجعل النسوة يناشدنها ويقلن: الله الله في نفسك! فانك الآن تؤخذين، فبعد لأي ما، احتملت تنهادى بين امرأتين حتى جاوزت الموضع. حدثني جحظة، قال حدثني ابن الدهقانة النديم، قال: لما حضر الواثق الموت، أمر أن يفرش له في الجديد، ففرش، ودعا بعثث أو رذاذ، وأمره أن يغني له بهذه الأبيات، وزمر عليه ونام ففعل، فلم يزل كذلك، حتى مات.

سمراء وهيلانة

شاعرتان، مولدتان، كانتا لرجلين من نخاسي بغداد، وكان الشعراء أيام المعتصم، وقبلها، يدخلون عليهما 48 يسمعون صوتهما ويقيمون عندهما، ويجتمع لذلك أهل الأدب والكتاب فينفقون عليهما.

فحدثني عمي الحسن بن محمد، قال حدثني محمد بن القاسم بن معرويه، قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني، قال حدثني أبو الشبل البرجمي قال: كنت اختلف إلى سمراء وهيلانة، وكانتا لنخاسين في الكرخ وكانا متضادين، متعادين بسببهما، وكل واحد منهما يستدعي الشعراء فيفضل عليهم، ويقول كل واحد فيمن كان يتعصب له منهما شعراً، يمدحها به، ويهجو الأخرى ويسالم قوم منهم، فيواصل هذه، وهذه! قال أبو الشبل: وكنت من هذه الطبقة، فدخلت يوماً إلى سمراء، فتحدثنا ساعة، ثم أنشدتها بيتاً لأبي المستهل - شاعر منصور بن المهدي - في المعتصم وفتح عمورية وقلت لها أجزبي:

أقام الإمام منار الهدى

وأخرس ناقوس عموريه

فقلت:

كساني المليك جلابيه

ثياباً علاها بسموريه

فأعلا إفتخاري بها رتبتني

وأذكى ببهجتها نوريه

ثم دعت بالطعام فأكلنا وخرجت من عندها، ودخلت إلى هيلانة ق49 فقالت: من أين يا أبا الشبل؟ فقلت: من عند هيلانة! قالت: قد علمت أنك تبدأ بها! - وصدقت لأنها كانت أجملهما! فقلت قد صدقت.

قالت: وأعلم أنها لم تدعك تخرج حتى أكلت؟ قلت: نعم.

قالت: هل لك في الشراب؟ قلت: أجل، فأحضرتة، وأخذنا في الحديث، فقالت أخبرني ما دار بينكما؟ فأخبرتها، فقالت: هذه المسكينة، كانت تجد البرد، هي وشعرها، فاحتاجا إلى سمورية! فهلا قالت:

فأضحى به الدين مستبشراً

وأضحت زناد الهوى موريه

فقلت لها: أنت والله في كلامك أشعر منها في شعرها، وفي شعرك أشعر أهل عصرك!

ظلم جارية محمد بن مسلم

الكاتب

وكانت شاعرة، كاتبة، مغنية، باعها لبعض الكتاب.

حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال:

كان محمد بن مسلم، الكاتب، صديقاً لي، وكان يكنى أبا الصالحات، وكانت له جارية، يقال لها ظلم، فرأيتها عنده يوماً ق50 وهي إلى جانبه، وعلى رأسها كور منسوج بالذهب، عليه مكتوب:

وإني على الود الذي قد عرفتم

مقيم عليه لا أحول عن العهد

وذلك أدنى طاعتي لمودتي

وأيسر ما أظفي به علة الوجد

فقلت لها: ما أملح هذا الشعر على كورك! قالت: أتحب أن أغنيك؟ قلت: نعم! فغنته أملح غناء، فقلت: لمن الشعر؟ قالت: هو لي.

قال: ثم اشتراها بعد ذلك رجل من الكتاب.

عريب المأمونية

عريب بفتح العين وكسر الراء وفي الأصل: غريب بالعين تحريف كذلك في م.

توفيت 277هـ في سر، من لأى قيل عن 96 عاماً، وجعل ابن شاعر الكتيبي وفاهما: 230هـ، وذكر السيوطي أنها ولدت سنة 181هـ.

ترجمة عريب وأخبارها في: الأغاني 5: 279، 22: 157-185 في ترجمة ابن المدبر وفي مواضع أخرى تنظر الفهارس.

طبقات ابن المعتز 425-426، بغداد لطيفور: 165-177-179، أخبار الزجاجي: 113، الهدايا والتحف: 111-113، 174، الديارات: 64، 65، 105، 165 وتنظر الفهارس، الجهشياري: 154-155، إبن الأثير حوادث 277، البصائر والذخائر 1-2: 168-261، بدائع البدائة: 94، نساء الخلفاء: 58-59، عيون التوارس مخطوط: حوادث 230هـ، مسالك الأبصار مخطوط 8: ق 108-111، المستظرف للسيوطي: 37-38، أعلام النساء: 3: 261-268، الأعلام: 4: 227-228.

عريب المأمونية

حدثني محمد بن يزيد ويحيى بن علي قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي قال: قال لي أبي: ما رأيت امرأة قط، أحسن وجهاً وأدباً وغناءً وشعراً وضرباً ولعباً بالشطرنج والنرد من عريب! وما تشاء أن تجد خصلة، حسنة، ظريفة، بارعة في امرأة إلا وجدتها فيها!

حدثني جحظة، قال حدثني علي بن يحيى المنجم، قال: خرجت يوماً من حضرة المعتمد، فصرت إلى عريب، فلما قربت من دارها أصابني مطر بل ثيابي، إلى أن وصلت إلى دارها، فلما دخلت إليها أمرت بأخذ ثيابي عني، وأتيت بخلعة، فلبستها وأحضرتنا الطعام ق 51 فأكلنا، ودعت بالنبيذ وأخرجت جواربها، ثم سألتني عن خبر الخليفة في أمس ذلك اليوم، وشربه وأي شيء كان صوتته؟ وعلى من كان؟ فأخبرتها أن بنانا غناه؟

وسفر القوم منطلق

وذي كلف بكى جزعاً

وكان وما به قلق!

به قلق يملله

بنار الشوق تحترق

جوارحه على خطر

تجافى ثم تنطبق

جفون حشوها الأرق

فأمرت بإحضار بنان فاحضر، وقدم الطعام فأكل وشرب وأتى بعود وإقترحت الصوت عليه فغناه، وأخذت دواة ودرجاً فكتبت:

وصاح النرجس الغرق

أجاب الواابل الغدق

كأن حبابها حدق

فهاات الكأس مترعة

تكاد بنور بهجتها

حواشي الكأس تحترق

فقد غنى بنان لنا

جفون حشوها الأرق

قال علي بن يحيى: فعدل بنان بلحن الصوت إلى شعرها وغنانا فيه، فشرينا عليه بقية يومنا حتى سكرنا. أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال أنشدني محمد بن الفضل النيسابوري ق52 لعريب ترثي العباس بن المأمون:

يا من بمصر غدرها الدهر

قد كان فيك يصاول الدهر

زعموا قتلت وعندهم عذر

كلا، وربك ما لهم عذر

حدثني عمي الحسن بن محمد قال أخبرني أحمد بن المرزبان قال: غضبت قبيحة عن عريب، ثم رضيت عنها، فقالت فيها هذا الشعر وغنت فيه:

سبحان من أعطى عريب الذي

رجته في المولاة والمواليا

أعطاك في المعتز أمنية

والسؤل في سيدة الدنيا

ورد حسن الرأي منها لها

وطيب الله لها المحيا

وحدث ابن المعتز أن بعض جواريهم حدثه أن عريباً، كانت تتعشق صالحاً المنذري، الخادم وتزوجته سراً، فوجه به المتوكل في حاجة إلى مكان بعيد، قالت فيه شعراً وصاغت فيه لحناً في خفيف الثقل وهو:

أما الحبيب فقد مضى

بالرغم مني لا الرضا

أخطأت في تركي لمن

لم ألق منه عوضاً

لبعده عن ناظري

صرت بعيشي عرضاً

ق53 وغنته يوماً بين يدي المتوكل فاستعاده مراراً، وجواريه يتغامزن ويضحكن، ففطنت وأصغت إليهن سراً من المتوكل، وقالت: يا سحاقيات هذا خير من عملكن! قال وحدثنا عن بعض جوارى المتوكل، أنها دخلت يوماً إلى عريب فقالت لها: تعالي ويحك قبلي هذا الموضع مني، فإنك ستجدين ريح الجنة فيه! وأومأت إلى سالفتها، قالت ففعلت وقلت لها: ما السبب في هذا؟! قالت: قبلي الساعة صالح المنذري في هذا الموضع!.

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني ميمون بن هارون قال: كتبت عريب إلى محمد بن حامد - الذي أنت تحبه - تستزيه فكتب لها: إني أخاف على نفسي من المأمون، فقالت:

وتعلم أنك لا تجسر

إذا كنت تحذر ما تحذر

ويوم إخائك لا يقدر؟

فما لي أقيم على صبوتي

قال وكتب إليها محمد بن حامد يعاتبها على شيء بلغه عنها وعتذرت إليه فلم يقبل، فكتبت إليه:

وأبليت جسمي ولا تشعر

تبينت عذري فما تعذر

ودمعي من العين لا يفتر

ألفت السرور وخليتي

ق 54 فقبل عذرها وصار إليها.

حدثني عرفة، وكيل بدعة، قال:

دخلت عريب إلى المتوكل، وقد أفاق من علة، كانت أصابته، وعاد إلى عادته، وإصطبح، فغنته وأنشأت تقول:

دمت المعافى من الآلام والسقم

شكراً لأنعم من عافاك من سقم

وإهتر نبت رياض الجود والكرم

عادت ببرديك للأيام بهجتها

أعف منك ولا أرعى على الذمم

ما قام بالجود بعد المصطفى ملك

بنور سنته عنا دجى الظلم

فعمر الله فينا جعفرأ ونفى

فطرب، وشرب عليه رطلاً، وأجلسها إلى جانبه، وما زالت تغنيه به ويشرب حتى سكر.

104 قال عرفة ودخلت عليه، قبل نموضه من العلة والحمى لعيادة، فقال لها: أنت مشغولة عني بالقصف وأنا عليل! فقالت هذا الشعر:

فقلت ونار الشوق تقدح في صدري :

أتوني فقالوا: بالخليفة علة

فكانت بي الحمى، وكان له أجري

ألا ليت بي حمى الخليفة جعفر

من الحزن إنني بعد هذا لذو صبر

كفى حزناً أن قيل حم فلم أمت

وذاك قليل من ثنائي من شكري

جعلت فداء للخليفة جعفر

فلما عوفي، قالت ق 55:

على رغم أشياع الضلالة والكفر

حمدنا الذي عافى الخليفة جعفرأ

كسوف قليل ثم جلى عن البدر

فما كان إلا مثل بدر أصابه

وعلته للدين قاصمة الظهر

سلامته للدين عز وقوة

مرضت، فأمرضت البرية كلها
وأظلمت الأبصار من شدة الذعر
فلما إستبان الناس منك إفاقة
أقاموا وكانوا كالنيام على الجمر
سلامة دنيانا سلامة جعفر
فدام معافى سالماً آخر الدهر
أقام يعم الناس بالعدل والتقى
قريباً من التقوى بعيداً من الوزر

وغنت في الأبيات الأولى، نشيداً وفي الثانية بسيطة.
وقالت فيه:

حمدنا الذي عافاك يا خير من مشى
بأنفسنا الشكوى وكان له الأجر
أتوني فقالوا لي بجعفر علة
فقلت لهم يا رب ما إنكسف البدر !

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب جعفر بن قدامة: حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون، قال: وصف للمتوكل موضع بشبداز، فأمر أن يبني له قصر، ويجعل في صدره ثلاثة أزواج، معقودة، ويصور فيها مثل تلك الصور، ويجمع حذاق الصناع، ويجعل فيه من المجالس، والحجر ما يصلح ففعل ذلك، فلما فرغ منه، أمر بأن تفرش له الأزج المصور، ففرش، وجلس فيه يشرب، فغنت عريب ق56 في شعر: قالت فيه، وهو:

بالسعد واليمن ما ترى قصر شبداز
حللته في سعادات وإعزاز
فإشكر لمن بك تمت فيه نعمته
بناؤه تم في يسر وإيجاز
لو رام هذا لأعيا دون مبلغه
دارا وقصر عنه ملك برواز
بجعفر وضحت سبل الهدى وبه
راش البرية طراً بعد إعواز

وحدثني ابن حمدون قال:

مرضت قبيحة فقال المتوكل لعريب قولي في علة قبيحة شيئاً وغني فيه، ولكن قولك الشعر على لساني، يذكر أني قلق عليها فقالت عريب، وأنشأت تقول:

سبت قبيحة في قلبي لها حرقا
وبدلت مقلتي من نومها أرقا
ما ذاك إلا لشكواها فقد عطفت
قلبي على كل شاك بعدها شفقا
كأنها زهرة بيضاء قد ذبلت
أو نرجس مسك من طيبها عبقا

إني لأرحم من حبي لها سلمتمن كل حادثة يا قوم من عشقا !

وغنت فيه لحناً من خفيف الرمل، فاستحسنه المتوكل وأمرها أن تدخل إلى قبيحة فتشدها الشعر وتغنيها به، ففعلت .

فقالت لها قبيحة فأجيبه عني فقالت:

يا سيدي أنت حقاً سممتي الأرقا!
لولاك لم أتألم علة أبداً
وأنت علمت قلبي الوجد والحرقا!
لكن على كبدي أسرفت فأحترقا!
إذا شكوت إليه الوجد كذبني
وإن شكاً قال قلبي خيفة: صدقا!

وخرجت إليه أنشدته الشعر وغنت فيه وفي الشعر الأول، لحناً واحداً.

أخبرني جعفر بن قدامة، قال حدثني أحمد بن حمدون، قال: قال دخلت عريب على المعتمد يوماً، وهو مخمور يتململ خمراً، فأخذت دواة ودرجاً، وقالت هذا الشعر، وغنت فيه لحناً من الهزج، فجلس وقال: أحسنت وحياتك! ودعا بقدر فشربه، ودعا بالطعام، فأكل وشرب على الصوت بقية يومه، والشعر:

قلبي هام بأحمد
بعديك كل أحمد
لا بالطباء الخرد
بعد النبي أحمد:
الهاشمي الأبطحي
القرشي المهتدي!

فأجازها، يومئذ، بجوائز سنوية، حسنة، من مال وجوهر، وطيب وثياب.

أخبرني عمي الحسن بن محمد، قال حدثني أحمد بن المرزبان، قال: دخلت عريب على المتوكل، في أول يوم في الحرم، وهو مقيم بالقاطول يشرب في الزو وقد قالت في ليلتها هذه الأبيات:

سنة وشهر قابلاً بسعود
أشرب على ملك أذاك مجرداً
وجه الخليفة إنه لسعيد
وعنان ملك محكم معقود
فألزو والقاطول أحسن منظر
وغنا عريب ما لذاك نديد

وغنت فيه رملاً حسناً، فشرب عليه يومه ذلك، وأمر لها بخمسة آلاف دينار جديد من ضرب السنة. أخبرني جعفر بن قدامة، قال حدثني عبد الله بن المعتز قال: وقعت إلي رقاع لعريب، مكاتبات منثورة ومنظومة، فقرأت رقعة منها إلى المأمون وقد خرج إلى فم الصلح لزفاف بوران:

أنعم تخطئك صروف الردى
درة خدر لم يزل نجمها
بقرب بوران مدى الدهر
بنجم مأمون العلا يجري

حتى إستقر الملك في حجرها

بورك في ذلك من حجر

يا سيدي لا تتس عهدي فما

أطلب شيئاً غير ما تدري

قال عبد الله بن العترة، فذكرت ذلك لعجوز من جواري بوران فعرفت القصة، وحدثني أن المأمون قرأ الرقعة على بوران وقال لها أفهمت معنى الزانية؟! قالت نعم بالله يا سيدي ألا سررتني بالكتاب لحملها إليك فإني والله أسر بذلك وأشكره من تفضلك فضحك ق59 وأمر بالكتاب يحمل إليها. ومن شعرها في المتوكل قولها:

بجعفر زادني الرحمان إيماننا

جزاله العرش بالإحسان إحساننا

وزاد في عمره طولاً ومنزلة

فيه وأعلا له في الأرض سلطاننا

ولها فيه:

بوجه أمين الله جعفر أشرفت

وإنبت في الأرض نورها

وقام خطيباً فاكتسى العدل بهجة

وعزت به التقوى ودام سرورها

ولها فيه:

بجعفر نام المسلمون توكلنا

على أنه عن أمرهم غير نائم

أقام رشيد الأمر في كل فعلة

به هدر في كل باغ وظالم

ولها في المستعين:

بوجه المستعين يزيد حسناً

بنا قد جل عن كنه الصفات

وأم المستعين لها أياد

سوابق في الندى متتابعات

على البركات حلت خير دار

وأيمن طائر وعلى الثبات

أقامت في مجالس مونقات

شوامخ بالسعود متوجات

بناء مشرق يزداد حسناً

بأحمد ذي العلا والمكرمات

ولها فيه ق60:

أيها الطارقون في الأسحار

أصبحونا، فالعيش في الابتكار

لآ تخافوا صرف الزمان علينا

ما لصراف الزمان والأحرار

إنما المستعين بالله جار

وهو بالله في أعز الجوار

ملك في جبينه كسنا البر

ق ونور يعلو على الأنوار

عد بوجه الإمام ذي الأسفار
في معين بربرة وقرار
نا خلال الأشجار والأنهار
وحدث يطيب للسمار
ز مع الورد في عراض البهار
اح صلى صغاره بالكبار
إذا ما شددت على الأوتار
ك بين النوار في الأشجار
ج وغر يصاد بالأطيار
وتصيد الحيتان في جوف دار
ح والحاديين خلف القطار
فرضة البر فرضة للبحار
وإحتراق الزلال جوف المجاري
ل بحسن التدبير والأختيار
وبغا فالملك ثبت القرار
ه وأنصاره على الكفار
نا على رغم أنفس الأشرار

جمع الله كل دنيا ودين!
إستجارت من البكاء جفوني

عم الإله سوابغ النعماء
لولاه كانوا في دجى عشواء

حل بستان شاهك طائر الس
جدد الله فيه كل نعيم
وبه النرجس المضاعف يدعو
إنزلوا عندنا سرور مقيم
وبه زهر البنفسج تهت
ونبات الأترج قد قابل التف
وأغاني عربيًا إذ نثر الدر
وترى الأرض وجهها مشرق يضح
وبها الصيد من حبارى ودرا
ومتى شئت صدت فيها غزالاً
وترى الضب فيه والنوق والملا
مجمع العير والسفين إليه
حكمة تعجز الشياطين عنها
ما رأينا كسيد جمع الفض
فاذا عاش للانام وصيف
فهما جنة الأنام وسيفا
دام هذا وزاد فيه بمولا
ولها فيه نصب وبسيطة هزج مطلق.
ومن شعرها في المستعين:

بارتياح الخليفة المستعين
وبعدل الخليفة المستعين

ومنها قولها فيه:

بالمستعين إمام أمة أحمد
الله من على الإنام بملكه

يا خير م قصدت له آماننا
أعطاك في العباس رب محمد
لسداد ثغر أو لبذل عطاء
ووقاك فيه والرعية كلهما تحذر الآباء في الأبناء
وآراكه من فوق منبر أحمد
يتلو عليه مواعظ الخلفاء

ولها فيه ق62:

بالمستعين أنارت الدنيا
ملك إذا عدت محاسنه
وصفا لأهل الطاعة المحيا
لم يستطع أحد لها إحصا
رب العلا ما شاء أن يبقى
أبقاه في عز وعافية

ولها فيه:

بالمستعين الإمام أحمد قا
بدالنا يوم عقد بيعته
م العدل فينا فالخير منتشر
يشرق نوراً كأنه القمر
قد رزق الناس أحسن الخبر

ولها فيه:

بوجهك نستجير من الزمان
أشعت العدل والإحسان حتى
ويطلق كل مكروب وعاني
فدوت من المآثم في أمان
فقد أعطاك مفروج الأمانى
فداء المستعين من الزمان!
ومن شعرها في المعتز وأمه قبيحة، قولها:

إسلمي يا دار ذات الع
ثم كوني لولي الد
أبدأ معمورة ما
ويكون الله للدي
وولياً ونصيراً
يا أمير المؤمنين إختا
ز للمعتز دارا
هر خلدأ وقرارا
طرد الليل النهارا
ن وللإسلام جارا
حيث ما حل وسارا
رك الله إختيارا

وولادة العهد

للدين، صغاراً وكباراً

دام لدهر لنا ما

طلع النجم وغارا

ولها فيه خفيف وثقيل.

ولها في المعتمد تعاتبه:

بارك الله للإمام أبي العباس غيث الأنام في المعشوق

وإين عم الهادي النبي الصدوق

يا سيد البدر المنير كمالاً

ت عدوي وسؤتتي في صديقي؟

فيم يا سيدي ومولاي أشم

ولها فيه:

بالقمرين المنيرين أنارت الدنيا

وتكففت عن أهلها البلوى

قمر السماء ووجه أحمد أنه

في الحسن نال الغاية القصوى

عامل جارية زينب بنت إبراهيم

عامل، جارية زينب بنت إبراهيم الهاشمية، أخت عبد الوهاب بن إبراهيم، كانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وشعراً، وكان إبراهيم بن العباس ق64 الصولي، يهواها.

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال حدثني ابن السخي قال: كان إبراهيم بن العباس، يهوى جارية لزينب بنت إبراهيم، أخت عبد الوهاب بن إبراهيم الهاشمي وكانت مولاتها تقين عليها وتخرجها إلى الوجوه بسر من رأى، وكانت شاعرة، مغنية، كاملة في الظرف وفي الحسن والإحسان وكان إبراهيم بن العباس ممن أخرجتها عليه فمالت إليه، وأصفته مودتها، وإمتنت من جماعة، كانوا يهونونها وإحتجبت عنهم، ثم إن إبراهيم علق غيرها، جارية كانت للوائق أهداها إليه بعض الملوك الأتراك، فخرجت عن القصر بعد وفاة اللوائق، حرة، وكانت ولدت منه بنتاً، فماتت الابنة، فلما واصلها، جفا الأولى، فلما تبينت جفاه، وعرفت خبره، كتبت إليه هذه الأبيات:

بالله يا نقض العهد، ليت بمن

بعدك من أهل ودنا نثق

وأسوأنا وأستجيب لي أبدأً إن ذكر العاشقون من عشقوا

ولا ظريف مهذب ليق

لا غرني كاتب له أدب

دهراً، ولم أدر أنه ملق!

كنت بذاك اللسان تخبني

قال إبراهيم: فلما قرأت الأبيات، أخذني مثل الجنون، فصرت إليها وترضيتها، وهجرت الوثائقية، فلم نزل على حال مصافاة ومواصلة، حتى فرق الموت بيننا.

ريا وظمياء

ريا وظمياء مولدتان من مولدات المدينة.

حدثني محمد بن خلف المرزبان، قال حدثني: أحمد بن سهل الكاتب، وكان أحد كتاب صاعد، قال: سمعت الحسن بن مخلد، يحدث أن رجلاً نخاساً من أهل اليمامة، قدم بجاريتين، شاعرتين من مولدات اليمامة على المتوكل فعرضهما عليه من جهة الفتح بن خاقان، فنظر إلى إحداهما، فقال لها: ما إسمك؟ قالت: ريا. قال: أنت شاعرة؟ قالت: كذا يزعم مالكي! قال: فقولي في مجلسنا هذا شعراً ترتجليه وتذكريني فيه وتذكرين الفتح، فتوقفت ساعة ثم أنشدت:

أقول وقد أبصرت صورة جعفر إمام الهدى والفتح ذي العز والفخر

أشمس الضحى أم شبيها وجه جعفر وبدر السماء الفتح أم شبيهه البدر؟

فقال للأخرى، أنشدي أنت شيئاً، إن كنت قلت، فقالت:

أقول وقد أبصرت صورة جعفر تعالى الذي أعلاك يا سيد البشر

وأكمل نعماء بفتح ونصح فانت لنا شمس وفتح هو القمر

فأمر بشراء الأولى منهما، ورد الأخرى، فقالت المردودة، لم ق 66 رددتني يا مولاي؟ قال: لأن في وجهك نمشاً! فقالت:

لم يسلم الطبي على حسنه يوماً ولا البدر الذي يوصف

الطبي فيه خنس بين والبدر فيه نكتة تعرف

فأمر بأن تشتري

محبوبة جارية المتوكل

كانت مولدة، شاعرة، مغنية، متقدمة في الحالتين على طبقتها. حسنة الوجه والغناء، أهداها عبد الله بن طاهر إليه لما ولي الخلافة في جملة أربع مائة جارية قيان وسواذج فتقدمتهن عنده، فلما قتل صارت إلى وصيف، فلزمت السلب وفاء للمتوكل، حتى أراد وصيف قتلها، فاستوهبها منه بغا، فأعطاه إياها فأعتقها، وقال لها: أقيمي حيث شئت، فانحدرت من سر من رأى إلى بغداد، وأحملت نفسها حتى ماتت.

حدثني جعفر بن قدامة، عن ملاوي الهيثمي، وعلي بن يحيى المنجم بذلك.
 وحدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني ابن خرداذبة قال: حدثني علي بن الجهم قال: كنت يوماً بحضرة
 ق76 المتوكل، وهو يشرب ونحن بين يديه إذ دفع إلى محبوبة تفاحة مغلفة بغالية، فقبلتها وإنصرفت عن
 حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب، ثم خرجت جارية لها ومعهما رقعة، فدفعتها إليه،
 فقرأها وضحك، وضحكاً كثيراً، ثم رمى بالرقعة إلينا فإذا فيها مكتوب:

يا طيب تفاحة خلوت بها	تشعل نار الهوى على كبدي
أبكي إليها وأشتكي دنفي	وما الأقي من شدة الكمد
لو أن تفاحة بكت لبكت	من رجفتي هذه التي ببدي
إن كنت لا تعلمين ما لقيت	نفسي فمصدق ذلك في جسدي
فإن تأملته علمت بأن	ليس لخلق عليه من جلد!

فما بقي أحد إلا إستظرفها وإستملح الأبيات، وأمر عريباً وشارية فصنعا في الشعر لحنين غنى بهما في
 يومه.

حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: قال المتوكل لعلي بن الجهم، وكان يأنس به
 ولا يكتمه شيئاً من أمره: يا علي، إني دخلت على قبيحة الساعة، فوجدتها قد كتبت إسمي على خدها
 بغالية، فو الله ما رأيت أحسن من سواد الغالية على ق66 بياض ذلك الخد!، فقل في هذا شيئاً! وكانت
 محبوبة جالسة من وراء الستارة تسمع الكلام، فإلى أن دعا بالدرج والدواة، قالت على البديهة: وكتابة،
 وأنشأت تقول:

وكتابة بالمسك في الخد جعفرأ	بنفسي مخط المسك من حيث أترا
لئن كتبت في الخد سطرأ بكفها	لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا
فيا من لمملوك لملك يمينه	مطيع له فيما أسر وأظهرأ!
ويا من مناها في السريرة جعفر	سقى الله من سقيا ثناياك جعفرأ

قال: فبقي علي بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف، وأمر عريب فغنت فيها هذه الأبيات التي تقدم ذكرها.
 حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني علي بن يحيى المنجم: أن جواري المتوكل تفرقن بعد قتله، فصار
 لوصيف عدة منهن، فيهن محبوبة، فاصطبح يوماً وأمر باحضار الجواري، فاحضرن وعليهن الثياب الفاخرة
 الملونة والحلي، وقد تزين، إلا محبوبة فإنها جاءت في بياض غير فاخرة، فغنى الجواري، وشرب، وقال
 لمحبوبة: غني!، فأخذت العود وغنت وهي تبكي:

أي عيش يطيب لي	لا أرى فيه جعفرا
ملكاً قد رأته عي	ني طريحاً معفرا
كل من كان ذا سقا	م وحزن فقد برا
غير محبوبة التي	لو ترى الموت يشتري
لا شترته بملكها	كي توارى وتقبرا
إن موت الأخوين	أطيب من أن يعمرا

فاشند ذلك على وصيف، وهم بقتلها، فاستوهبها بغا فأعتقها فأحملت نفسها إلى أن ماتت. حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني ملاوي عن علي بن الجهم، قال: غاضب المتوكل محبوبه، فاشند عليه بعدها عنه، ثم جئته يوماً، فحدثني أنه رأى في النوم أنها قد صالحتة، ودعا بخادم، وقال له: أذهب، فاعرف خبرها، وأي شيء تصنع! فرجع وأعلمه أنها تغني، فقال: أما ترى إلى هذه! تغني وأنا عليها غضبان؟! قم بنا حتى نسمع أي شيء تغني؟ فقمنا حتى صرنا إلى حجرها، فإذا هي تغني بهذه الأبيات:

أدور في القصر لا أرى أحداً	أشكو إليه ولا يكلمني
حتى كأني ركبت معصية	ليست لها توبة تخلصني
فهل لنا شافع إلى ملك	قد زارني في الكرى وصالحني
حتى إذا ما الصباح لاح لنا	عاد إلى هجره فصارمني

فطرب المتوكل وأحست به، فخرجت إليه، وخرجنا نتبادر، فأعلمني أنها رأته في النوم قد جاءها فصالحها، فقالت هذا الشعر، وغنت فيه، فأقام عندها يشرب وخرجت إلينا الجوائز.

بنان جارية المتوكل

أخبرني جعفر بن قدامة، قال حدثني: يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال: حدثني الفضل بن العباس الهاشمي قال: حدثني بنان الشاعرة، قالت: خرج المتوكل يوماً يمشي في صحن القصر وهو متوكئ على يدي، ويد فضل الشاعرة، يمشي بيننا، ثم أنشد قول الشاعر:

تعلمت أسباب الرضا خوف سخطها	وعلمها حبي لها كيف تغضب
-----------------------------	-------------------------

ثم قال: أجزا هذا البيت.

فقالت فضل:

وتبعد عني بالوصال وأقرب

تصد وأدنو بالمودة جاهداً

فقلت:

فما منه لي بد ولا عنه مذهب

وعندي لها العتبي على كل حالة

ريا جارية إسحق الموصلي

حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني حماد بن إسحاق، قال:

كانت ريا جارية أبي، صفراء، مليحة، حلوة الوجه، ربيت باليمامة، وإشترها أبي لما حج، وكان يجيها، وهي القائلة فيه:

يا كرية المفارقة

يا لذيق المعانقة

بي حد الموافقه

جزت يا منتهى المنى

لك والله عاشقة

وأنا دون من ترى

وفيه لحن من الرمل، لبعض جوارينا، إما صيد وإما دمن وكانت قد أخذت الغناء عنهما.

أمل جارية قرين النخاس

أخبرني جعفر بن قدامة، قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدثني أبو حفص الشطرنجي، قال: قال لي صالح بن الرشيد أن لقرين النخاس، جارية شاعرة، فاعترضها وعرفني خبرها! فدخلت إلى قرين، وأخبرته بالقصة، فأخرج إلي، جارية حسناء، ظريفة، حلوة المنطق، فقلت لها ما إسمك؟ فقالت: اسمي إذا بلغته، فقد بلغت المنتهى! قلت لها: فاسمك إذن أمل؟ فضحكت، فقلت لها: يقول لك الأمير ق 72.

خلق الكثير ورازقه

سل المهيمن خالق ال

يوماً وأنت مفارقة

ألا أموت بغصتي

فأخذت دواة ودرجاً وكتبت

مملوكة ومعانقه

لا بل أراك وأنت لي

لو كنت أعلم أن نفسك في المحبة صادقه

لدنوت منك ولو علوت إلى الجبال الشاهقه

ولهان عندي قول ساع ناطق أو ناطقه

هل غير قولهم جميعاً أنني لك عاشقه؟

ذا عاشق مع عاشقه

وكذاك نحن فكان ما

وقالت إدفع هذا الجواب إلى الأمير فأتيته بها، فضحك وأمر بأن تتناح له.

مثل جارية إبراهيم بن المدبر

حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال: إشتريت جارية، شاعرة، مدنية، يقال لها مثل وقد تعالت سني وكبرت، فلما كان الليل خلوت بها فلم تنهضني شهوتي، فحججت، فقلت هذا البيت ق71:

وقد يكون مع المستعجل الزلل

قد يدرك المتأني بعض حاجته

فقال:

مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وربما فات بعض القوم أمرهم

فحججت يعلم الله منها، وعلمت أن فيها ما في المدنيات من الشبق، وعرفت ما عندي من العجز فبعثتها كارهاً غير راض.

نبت جارية مخفراة المخنث

كانت مغنية حسنة الغناء، محسنة، وقد ذكرت خبرها في كتاب القيان، وكانت شاعرة، سريعة الهاجس، إشتراها المعتمد.

فأخبرني جعفر بن قدامة، قال حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: دخلت يوماً على نبت جارية مخفراة، فقلت لها: قد قلت مصراعاً فأجيزيه! فقالت: قل! فقلت: يا نبت حسنك يغشي بهجة القمر.

فقالت: قد كاد حسنك أن يبتزني بصري فأقبلت أفكر، فسبقني، فقالت:

ريا الرياض عليه في دجي السحر

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت

فزاد فكري، فبادرتني، فقالت:

أو لا فإني راض منك بالنظر؟!!

فهل لنا فيك حظ من مواصلة

ق74 فممت حجلاً، ثم عرضت على المعتمد فاشترها برأي علي بن يحيى المنجم بثلاثين ألف درهم، فذكر أحمد بن الطيب، -عن بعض الكتاب- أنها عرضت على المعتمد فامتحنها في الغناء والكتابة فرضي

بما ظهر له منها.

وكان أول صوت غنته في لحن لعريب، والشعر في المعتمد:

سنة وشهر قابلاً بسعود
وجه الخليفة أنه لسعيد
يا سيد الخلفاء دام لك الذي
تهواه مسعوداً برغم حسود
عام إلى تسعين عقد حسابه
وعنان ملك محكم معقود
والحير والقاطول أحسن منزل
وغنا عريب ما لذاك نديد

فطرب المعتمد وتبرك بغنائها، وقال لابن حمدون: قارضها! فقال: وهبت نفسي للهوى فقالت: فجار لما أن ملك فقال: فصرت عبداً خاضعاً فقالت: يسلك بي حيث سلك! فأمر بابتاعها، فابتيعت بثلاثين ألفاً.

رابعة جارية إسحاق بن إبراهيم

بن مصعب

كان يقال ألها أخت مخارق، نشأ في موضع واحد، شاعرة ق 75 مولدة.

أخبرني جعفر بن قدامة، قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، لرابعة جارية إسحق:

قل للأمير المصعبي
أخي المكارم والمنن
والمشتري الحمد الرفيع
بما يجل من الثمن
أدر المدامة بكرة
وإشرب على الوجه الحسن

وإغنم سرورك عاجلاً
من قبل أحداث الزمن
إن لم تكن فطناً لما
قد قلت من هذا، فمن؟

عيش الفتى شرب المدام وترك ذلك من الغبن!

وكتبت بها إلى إسحق، فقال: لعمرى إن ترك ما أشارت يغبن فاصطبح وأمر مخارقاً فغنى فيه لحناً من الهزج.

أخبرني جعفر بن قدامة، قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: اشتري إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، جارية، شاعرة، مدينية، وكانت تحضر مجلسه إذا شرب، فوعد يوماً جاريتها مخارقاً أن يزورها

وتشاغل، فقالت لصاحبها الشاعرة حركيه.

فكتبت إليه رابعة هذه الأبيات:

لأمرك طاعة ولنا نمام

ألا يأيها الملك الهمام

فلم يك غير ذلك والسلام!

فرحنا بالزيارة وإحتفلنا

قال لي عبيد الله، فقال إسحاق: فلما قرأت الرقعة، وجمت وخجلت ق76 وقيمت فدخلت إليها، وأقيمت عندها ثلاثة أيام، وقلت لها: هذا عوض من الخلف!

صاحب جارية ابن طرخان

النخاس

شاعرة، مغنية.

حدثني جعفر بن قدامة، قال حدثني ملاوي الهيثمي، قال: كان لابن طرخان النخاس، هذه الجارية، وكان ابن أبي أمية الشاعر، يهواها، فكتب إليها:

عاطيتني من ريق فيك البارد

إني رأيتك في المنام كأنما

بتنا جميعاً في فراش واحد

وكان كفك في يدي وكأنما

بيدي اليمين وفي يمينك ساعدي

ثم إنتبهت ومعصمك كلاهما

فأجابته:

ستتاله مني برغم الحاسد

خيراً رأيت وكل ما أبصرته

وتظل مني فوق ثدي ناهد

إني لأرجو أن تكون معانقي

طرف الحديث بلا مخافة راصد

ونبيت أنعم عاشقين تفاوضا

قاسم جارية ابن طرخان

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال حدثني عمي الفضل ق77 عن، إسحاق الموصلي، قال حدثني يزيد بن محمد المهلي، قال: دخل العباس بن الأحنف على قاسم جارية ابن طرخان، فقال لها: أجزبي هذا البيت:

فبكي وأشفق من عيافه زاجر

أهدى له أحبابه أترجه

فقلت بديهاً:

لوان باطنها خلاف الظاهر

متطيراً لما أنته لأنها

بدعة الكبرى جارية عريب

كانت أحيان أهل دهرها: وجهاً وغناء، وقد ذكرتها وأخبارها في كتاب القيان، وكانت تقول الشعر، شعراً ليناً يستحسن من مثلها، وكان إسحاق بن أيوب التغلبي يهواها، فلم تفكر فيه حتى إلتقيا. فحدثني عرفة وكيلها: قال: لما رأى إسحق بدعة، وسمع غناءها إزداد شغفه بها، ومالت هي إليه بعد الانحراف عنه، والنفار من ذكره، وكانت تعبت بالشعر وتقوله، فكتبت إليه على يدي:

عشت في كل نعمة وحبور

كيف أصبحت سيدي وأميري؟

ونعيمي وبهجتي وسروري

علم الله كيف كان إغتباطي

سي وعيني لقاءه من أمير

بلقاء الأمير لا عدمت نف

فلما أوصلتها إليه سر بها سروراً شديداً وخلع علي خلعة نفيسة من ثيابه ووصلني بثلاثمائة دينار وبعث معي إليها بهدايا فيها ألف دينار مسيفة، مطبقة على غالية: دينارين، دينارين ودرج كبير من ذهب، مملوءاً مسكاً وعنبراً ونداً ومائة ثوب فاخرة. وكتب إليها:

ك حياتي من مفضعات الأمور

أنا في نعمة بقربك تفدي

ألمي كله، وتم سروري

بلغت مهجتي بقربك مني

نا وأبقاك لي بقاء الدهور!

وصل الله بيننا ذاك ما عش

وحدثني عرفة قال: لما قدم المعتضد من حرب وصيف وجاء به، دخلت عليه بدعة، فقالت: شيتك يا سيدي هذه السفارة! فقال: دون ما كنت فيه يشيب! فلما إنصرفت، قالت هذا الشعر وغنته فيه:

لأمور عانيتها وخطوب

إن تكن شبت يا مليك البرايا

والمشيب البادي كمال الأريب

فلقد زادك المشيب جمالاً

فابق أضعاف ما مضى لك في عز وملك وخفض عيش رطيب

فطرب المعتضد وخلع عليها.

وحدثني عرفة، قال: لما قدم ق79 المعتضد من الشام ومعه وصيف، دخلت إليه بدعة، يوم جلس

للشرب، فقال لها: أما ترين الشيب كيف إشتغل في رأسي وحياتي؟!
قالت له: عمرك الله يا سيدي أبداً، حتى ترى أولاد أولادك قد شابوا، فأنت في الشيب: أحسن من القمر! وفكرت طويلاً حتى قالت هذه الأبيات وغنته فيها:

ما ضرك الشيب شيئاً
بل زدت فيه جمالا
قد هذبتك الليالي
وزدت فيه كمالا
فعش لنا في سرور
وإنعم بعيشك بالآ
تزيد في كل يوم
وليلة إقبالا
في نعمة وسرور
ودولة تتعالى

فوصلها صلة سنية، وحمل معها ثياباً فاخرة، وطيباً كثيراً.

مها جارية عريب

أخبرني جعفر بن قدامة، قال أخبرني سراج المالكي، قال: كنت أهوى جارية، مغنية، لعريب، تسمى مها شاعرة، أديبة، وكان سبب ذلك أنني شاهدتها في مجلس، فأعجبتني جداً، فكتبت إليها بيتاً، قلته فيها، وهو هذا ق80.

كيف إحتيالي بنفسي أنت يا أملي
في زورة منك قبل الموت تحييني!
فوقعت في ظهرها: اطرح وافرح! وكتبت تحت ذلك:
أنقد صحاحك إن الشعر مفسدة
بضاعة الشعر من نقد المفاليس
فبعت ضيعة بثلاثين ألف درهم، وواصلتها، وأنفقتها عليها.

جلنار جارية أخت راشد بن إسحاق

الكوفي، الكاتب

مولدة، من مولدات الكوفة، شاعرة، مغنية.
أخبرني عمي الحسن بن محمد، قال حدثني عيسى بن القاشي الكاتب قال: كانت لأخت راشد بن إسحاق، جارية، مغنية، شاعرة، وكانت مليحة حسنة، حسنة الغناء، تقول شعراً مليحاً، قال عيسى فحدثني راشد، قال: فعشقتها وهمت بها، وعلمت أختي بذلك، فحجبتها عني، ومنعتني منها، إلا بأن

أبتاعها بحصتي من ضيعة ورثتها أنا وهي عن أينا، وحلفت على ذلك، وشاورت ثقاتي فنهوني وعنفوني
وضننت بالضيعة، وغلبني ما بي فقلت:

أبعذل صب على وجهه
وقد لجج مولاه في صدره؟
وكيف أرى الصبر عنم أرى
دنو المنية في بعده
غزال ينسبك قد القضي
ب بحسن الرشاقة من قده
إذا عدم الورد في روضة
فلن يعدم الورد من خده!

قال وبلغني أن الحارية تتعجب من صبري عنها، وتقول غدر بي وإختار علي ضيعة! فأجبت أختي إلى ما
طلبت، وتقرر الأمر بيننا، فكتبت إليها هذه الأبيات:

نزل القضاء بساحة الهجر
ومحا الوفا معالم الغدر
وغدا اللقاء عليهما بلوائه
وعليه تخفق راية النصر

فكتبت إلي:

ما كان أخوفني من الهجر
حتى كتبت إلي بالعدر
فسكنت منك إلى مراجعة
قوى الوصال بها على الهجر
أرجو وفاعك لي ويؤنسني
أشياء تعرض منك في صدري
لا شئت الرحمن شمل هوى
متألف منا على الدهر!

فاشتريتها وصارت في ملكي، فما اخترت عليها أخرى حتى فرق بيننا هادم اللذات.

خنساء جارية البرمكي

كانت لرجل من آل يحيى بن خالد بن برمك، لم يقع إلي اسمه ونسبه وكانت مغنية، شاعرة.
فحدثني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني عمرو بن بانه، قال: كان في جيران،
رجل من البرامكة، وكانت له جارية، شاعرة، مغنية، تدخل إليها الشعراء، يقارضونها الشعر ويسألونها
عن المعاني فتأتي بكل مستحسن من الجواب، فدخل إليها سعيد بن وهب وجلس يحدثها فأطال، ثم قال
لها:

أحاجيك يا خنساء
وفيما طوله شبر
في بيت من الشعر
وقد بوقي على الشبر

نطوق بالذي يجري
لدى بر ولا بحر
ب المعجب والسحر
ورب الشفع والوتر!
لها حظ من السر

له في رأسه شق
إذا ما جف لم يجر
وإن بل أتى بالعج
وإني لم أرد فحشاً
ولكن صغت أبياتاً

فغضب مولاها وتغير لونه، وقال لسعيد: أتخاطب جاريتي بالفحش والحناء؟ فقالت الجارية: خفض عليك فما ذهب إلى ما ظننت! وإنما يعني القلم! فسري عنه، وضحك سعيد، وقال هي أعلم منك! فاحتبسه مولاها يومئذ، فجعلت تغنيهم ق96 طوراً وتقارضهم طوراً إلى أن سكروا. وكان مولاها بعد ذلك يواصل سعيداً ويعاشره.

قال عمرو بن بانه: ولقيني مولاها، فسألته عن القصة، فحدثني بها، وأخرج إلي إبتداء سعيد بن وهب وجوابها تحته، شعر:

بما قلت من الشعر

أبا عثمان حاجيتك

فتاة حلل الشعر لها صافية الفكر

وليس الفحش في السر!

وفي ظاهره فحش

إذ يبويه من يبوي

أردت المخطف المرهف

عن الناطق إذ يجري

يؤدي وهو ذو صمت

بما شئت من الأمر

وذاك القلم الجاري

أو النفع أو الضر

من الخير أو الشر

غصن جارية ابن الأحدب النخاس

شاعرة، وكان مولاها يعشقها، وولدت منه غلاماً ومات مولاها فعتقت، وكانت مبتدلة. فأخبرني محمد بن مزيد، قال حدثني: الحسين بن دعبل بن علي الخزاعي، قال حدثني أبي، قال: كنت في ق97 الكرخ، فجزت به غصن جارية ابن الأحدب، وكانت شاعرة، يبلغني خبرها، فرأيت: وجهاً جميلاً، وقواماً حسناً، وهي تخطر في مشيها وتنظر في أعظافها، فقلت لها:

ونوم عيني به إنقباض

دموع عيني لها إنبساط

فقلت:

بلحظها الأعين المراض

ذاك قليل لمن دهته

فقلت:

فهل لمولاي عطف قلب أم للذي في الحشا إنقراض

فقلت:

فالود في دوننا قراض

إن كنت تهوى الوداد منا

فما دخل في أذني كلام أحلى من كلامها ولا رأت عيني أنضر وجهاً منها، فعدلت بها إلى غير ذلك
الروي، فقلت:

فيضم مشتاقاً إلى مشتاق!

أترى الزمان يسرنا بتلاق

فقلت:

أنت الزمان فسرنا بتلاق!

ما للزمان يقال فيه إنما

فقمت أمشي أمامها وتبعني فقصدت دار مسلم بن الوليد، فأخبرته الخبر، واستعنت به، فصادفت منه
عسرة، فدفعت إلي منديلاً ق89 وقال: إذهب فبعه، وخذ ما تحتاج إليه، فمضيت فبعته، ورجعت فوجدته
قد خلا بها في سرداب له، فلما أحس بي وثب إلي وقال: عرفك الله يا أبا علي جميل ما فعلت! ولقائك
ثوابه، وجعله أحسن حسنة لك!.
فغاضني قوله وطرزه وجعلت أفكر أي شيء أعمل به، ثم قال: بحياتي يا أبا علي، أخبرني من الذي يقول
هذا:

خائف القلب طاهر الأطراف

بت في درعها وبات رفيقي

فقلت مجيباً:

قد أنافت على علو مناف

من له في حر أمه ألف قرن

وجعلت أئب عليه، وأشتمه، فقال لي: يا أحق! متزلي دخلت، ومنديلي بعت، ودراهمي أنفقت، فأبي
شيء حردك يا أحق، يا قواد؟! قلت: مهما كذبت فيه من شيء، فما كذبت في الحمق والقيادة!،
وخرجت فهجرته، ثم صالحته.